محمد الخليلي

طب الامام الصادق (ع)

«لو اقتصد الناس في المطعم
لاستقامت ابدانهم»
الامام الصادق (ع)

طبع على نفقة

مرتضى الرضوي الكشميري

الطبعة الاولى

obeikandl.com

الاهداء

الى من كونته الارادة الالهية فاحسنت ابداعها في ما كونت فكان مثلا أعلى للخلق الاسلامي الرفيع .

الى من جعله المكون المبدع محلا لثقل الامامة وناموسا من قدرته

الى ينبوع الحكمة الالهية

الى من استقى علمه من منبع الرسالة عن آبائه الراسخين في العلم

الى من أفاض على الانسانية شتى العلوم والمعارف ليجعلها في ارفع درجات السعادة الدنيوية والاخروية

الى الامام ﴿ جعفر بن محمد الصادق ﴾ عليه وعلى آبائه التحية والسلام

اقدم ما يتفق ومقدوري راجيا أن ينال عند الزلفى فيشملني بشفاعته عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ؟

محمد الخليلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين

المقدمة

جدير بمن اراد الكتابة عن حياة الامام ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أو أن يبحث في ناحية من نواحيها الكثيرة سواء أكانت علمية أم دينية ، فلسفية أم تربوية ، أخلاقية أم أدبية ، أن يرى السبيل أمامه جليا واضحا ، والمجال فيها متسعا قريب الغاية . ذلك لما انطوت عليه تلك النفسية السامية من العلوم الآلهية ، والمعارف الجليلة الاسلامية ، والفلسفة العالية ، والأدب الجم إلى غير ذلك مما تمثلت في شخصيته الفذة من مكارم الاخلاق ومثل الفضيلة والانسانية الكاملة ، التي لم تقف دون بلوغها يراعة الكاتب أو المؤرخ ، ولم يحتج أي أديب أو شاعر إلى تأمل كثير ، أو إجهاد فكر متزايد في نظمها أو الكتابة عنها مجملا أو مفصلا .

بهذه الفكرة المسلمة عندي ، وهذا الخيال الواسع لدي ، راقني البحث والتحدث عن شعاع من أشعة تلك الحياة الجبارة والكتابة عن ناحية من نواحي هذه الشخصية العظيمة ، وجذبني تلك السهولة المتصورة إلى أن طمعت أن أكتب ، وأن أشبع الموضوع بحثا فاعطيه حقه من البيان والتوضيح

لاسيما وأن مثل هذا الموضوع ، هو من مهنتي ومهمتي ، أعني الكلام عن طب الامام عليه السلام .

نعم لقد كنت أراه بحثا واضحا لا غموض فيه ، وموضوعا سهلا يجري القلم فيه دون ما توقف كثير أو تأمل زائد . بيد اني عندما اندفعت للكتابة وحاولت الشروع في الموضوع ، شعرت بخطورة الموقف ، وأحسست بصعوبة البحث وادركت عسر تناول الغاية التي كنت أتوخاها من تلك الكتابة . لذلك فقد أصبحت بين اقدام واحجام ، وترديد وتصميم ، ماسكا باليراعة ، مفكراً في الطريق التي أسلكها لبلوغ المقصد ، متفحصا عن الباب الذي أفتحه للدخول في البحث . وأخيراً وبعد لأي ، ارتأيت أن أذكر أولا نبذة قصيرة عن تأريخ الطب عند العرب في الجزيرة ، وإنه كيف تدرج من مهده حتى درج إلى الجزيرة العربية ، ثم اخذ يتربى هناك في احضان العروبة ، ويترعرع في حجر الاسلام ، وينمو في هاتيك الربوع العامرة بالعقول السليمة ، والافكار المستقيمة ، والفطرة المعتدلة الصافية . لأجعلها كمقدمة للبحث حتى يتسنى للقارىء الكريم ان يقف على مبلغ توسعه في عصر الامام (ع) عن بصيرة وخبرة كاملة ، ولتكون كتمهيد واف للاطلاع على كامل معرفة الامام (ع) بهذا العلم الجليل ، وما أبداه من الحكم البالغة فيه ، دون أي تعليم او دراسة إلا ما اخذه عن آبائه واجداده عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل «ع» عن الله تعالى .

وسوف تثبت لك ذلك فيما يلي من مباحث هذه الرسالة ، واليك ما أردنا تقديمه .

تاريخ الطب وبدأ ظهوره :

لقد تضاربت أقوال المؤرخين واختلف الحكماء والاطباء في ذكر بدء ظهور هذا العلم الجليل ، وكيفية حدوثه في العالم ، مما اوقف الباحث موقف الحيرة والشك ، فلا يدري كيف يبدي الحقيقة ، وكيف يظهر القارىء مظهر الكاتب الأمين ، والمؤلف المنصف .

فقد نسب البعض اكتشافه او اختراعه اولا إلى الكلدانيين ، وآخرون الى سحرة اليمن ، وغيرهم إلى كهنة بابل ، واكثرهم الى قدماء اليونانيين ، قال ابن ابي اصيبعة الطبيب المؤرخ في كتابه ـ عيون الأنباء :

إن اختراع هذا الفن لا يجوز نسبته الى بلد خاص ، او مملكة معينة ، او قوم مخصوصين . اذ من الممكن وجوده عند امة قد انقرضت ، ولم يبق من اثارها شيء ، ثم ظهر عند قوم آخرين ، ثم انحط عندهم حتى نسي ثم ظهر على اساس هؤلاء لدى غيرهم فنسب اليهم اختراعه أو اكتشافه » انتهى

وقال غيره من المؤرخين : إن الطب من جملة العلوم التي وضع اساسها الكلدان وكهنة بابل ، وانهم هم اول من بحث في علاج الأمراض ، فكانوا يضعون مرضاهم في الأزقة ومعابر الطرق ، حتى اذا مر بهم احد قد اصيب بذلك الداء وشفي اعلمهم بسبب شفائه ، فيكتبون ذلك على الواح

يعاقونها في المياكل ، فلذلك كان التطبب عندهم من جملة اعمال الكهنة وخصائصهم ، ومن الكلدان اخذته سائر الامم القديمة ومن جملتها العرب ولذا تراه متشابهاً عند اكثر الأمم في مصر وفينيقية وآشور ثم تناولته الأمة اليونانية ، فاتقنوه إحكاماً وأحكاماً ورتبوا ابوابه وفصوله حتى جعلوه علماً له ابتداء وله انتهاء ثم اخذته عنهم الفرس والروم .

الطب عند العرب

أما العرب الذين كانوا معاصرين لتلك الدول ، فقد اقتبسوا منهم بحكم المجاورة والمخالطة شيئاً من الطب أضافوه إلى ما حصلوه من الكلدان وإلى ما استنبطوه هم أنفسهم بالفطرة والذكاء والتجارب .

وقد ذكر التاريخ : أن أول من تعاطى الطب من العرب بعد الكهنة ، هم جماعة ممن خالطوا الروم والفرس في القرن السادس الميلادي ، وقبل ظهور الاسلام بقليل واخذوا العلم عنهم . وكان أشهرهم يومذاك رجل من تيم الرباب يقال له ابن حذيم «١» وهو الذي ضرب به المثل في الحذاقة والطب ، فقيل فيه : اطب من ابن حذيم ، وقال فيه الشاعر : أوس بن حجر :

فهل لكم فيها إلي فانني بصير بما أعيى النطاسي حذيما «٢»

(١) راجع ترجمته في كتابنا معجم أدباء الأطباء ج ١

(٢) حذف لفظ ابن اعتماداً على الشهرة ولاستقامة الوزن

ثم جاء بعده ـ الحارث بن كلدة الثقفي «١» ـ طبيب العرب الشهير المتوفى سنة ٥٠ هـ وهو خريج مدرسة ﴿جند يسابور﴾ «٢» المعروفة في خوزستان الفرس ، والشهيرة عند العرب ﴿بمعهد الطب الاسلامي﴾ . فقد كانت العرب تعرف هذه المدرسة وتقدرها ، لا سيما بعد فتح الاسلام لبلاد الفرس على عهد الخليفة الثاني سنة ١٩ هـ . وقد كان الحارث هذا يتعاطى الطب في الطائف بشهرة واسعة وقد أدرك الاسلام ولم يسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وآله يأمر من كانت به علة أن يأتيه ويستوصفه .

ثم كان بعده ﴿ابن رومية﴾ الجراح التميمي . ثم النضر بن الحارث ابن كلدة الذي يعد من أقدم من اشتغل من العرب في العلوم الدخيلة

---

(١) راجع ترجمته في معجمنا ج ١

(٢) جند يسابور مدينة في خوزستان في الجنوب الغربي من ايران بناها كسرى الاول سابور ابن اردشير الساماني سنة ٣٥٠ م فنسبت اليه وكان قد اسكنها سبي الروم وطائفة من جنده وقد أفتتحها المسلمون أيام الخليفة الثاني سنة ١٩ هـ .

وكانت فيها مدرسة عظيمة يدرس فيها الطب وساير العلوم المختلفة . وكان القائم بتدريسها نصارى النسطوريون (النسطوريون) الذين حملوا اليها مؤلفات اليونان الطبية والفلسفية وترجموا الكتب الى السريانية التي كانت لغة التدريس في تلك المدرسة . وقد اشتهرت هذه المدرسة ونبغ منها أطباء معروفون خدموا الصناعة والعلم . وهم الذين ادخلوا الطب الى العراق زمن الخليفة العباسي المنصور كما سنعرفه مفصلا في بعض فصول هذه الرسالة .

من طب وغيره وكان هو في عصر النبي « ص » ايضاً ، ولكنه لما كان يجاري ابا سفيان بعداوة النبي « ص » لانه ثقفي وبنو ثقيف حلفاء بني امية ، أمر النبي « ص » عندما اسره المسلمون في بدر بقتله ، فقتل وذهب بموته علمه وطبه ، ولم يكن له مؤلف او نقل يعلمنا بمبلغ علمه وطبه .

ثم ذهب الطب من العرب ، وخفي عندهم ردحاً من الزمن ، وذلك منذ ظهور الدعوة الاسلامية حتى شطر من الدولة الاموية . إذ المسلمون كانوا حينذاك يعتقدون ، أن الاسلام يهدم ما قبله ، ولا ينبغي أن يتلى غير القرآن ، أو ان يدرس غير العلوم القرآنية ، فذهلوا عن سائر العلوم بما فيها الطب ، لانشغالهم بانشاء الدولة الاسلامية ، ونشر الدعوة المحمدية وقمع الشرك ، وإعلاء كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة عليها .

ولكن لما اتسع نطاق الاسلام ، وعلا سلطانه ، وبلغ الدين الحنيف ذروته التي خضعت لها الامم ، وذلت لها الملوك ، لم يقتنع المسلمون ببسط سلطانهم على شرق البسيطة وغربها دون أن يلجوا ابواب العلوم ، فيأخذوا من كل قطر محاسنه ، ويستلبوا كنوزه العلمية . وقد كان الطب عندهم اوفر نصيب من تلك العناية وذلك الاهتمام ، حيث اقتبسوه أولا ، ورغبوا اليه قبل سائر العلوم الدخيلة التي دخلت الجزيرة العربية يومذاك .

وقد ذكر لنا التاريخ واخبرتنا التراجم ، أن اول من فطن الى ذلك واول من اشتغل في نقل الطب وسائر العلوم الدخيلة الاخرى مثل الكيميا والنجوم الى اللغة العربية ، بعد تلك الفترة الطويلة ، هو خالد بن يزيد بن

معاوية الأموي، المدعو عند العرب ﴿ بحكيم آل مروان ﴾ والمتوفى سنة ٨٥هـ فانه بعد ما غلبه بنو مروان على الخلافة بعد أخيه معاوية وقد كان رجلا طموحا ذكيا، انصرف الى اكتساب المعالي عن طريق العلم، ولأجل ذلك فقد استقدم جماعة من علماء الروم، منهم الراهب الرومي ﴿ موريانوس ﴾ وطلب إليه أن يعلمه الكيميا، ولما تعلمها أمر بنقلها الى العربية، فنقلها له رجل يدعى ﴿ إصطفن ﴾. فكان هذا أول نقل في الاسلام من لغة إلى لغة

ثم جاء بعد إصطفن ﴿ ماسرجويه ﴾ فنقل كتبا كثيرة من الطب والفلسفة، فكان لبني أمية بعض الآثار العلمية في الاسلام.

ثم أصاب الطب بعد ﴿ خالد ﴾ فترة دامت إلى أواخر الأمويين وإلى عصر السفاح من بني العباس، حتى إذا ما أفضت الخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور سنة ١٣٦ هـ بانت له طلائع، وظهرت لقدومه بشائر.

فلقد كان المنصور كلفا باعمال التنجيم شغوفا بالعمل باقوال المنجمين في خلافته وقبلها حتى لم يكن يعمل عملا إلا بعد استشارة منجمه الخاص ﴿ نوبخت ﴾ الفارسي وابنه ﴿ أبي سهل ﴾ ولقد ترجموا له كثيرا من كتب التنجيم والفلك ثم ازدادت رغبة المنصور لطلب العلوم الدخيلة وبحكم المثل المشهور ﴿ الناس على دين ملوكها ﴾ رغب كثير من الناس إلى طلب تلك العلوم وتوسعوا في درسها والبحث عنها وفيها حتى طلب المنصور من ملك الروم أن يبعث اليه ببعض كتب التعاليم فبعث اليه بجملة كتب في علوم شتى ومن جملتها كتاب اقليدس في الهندسة وبعض كتب الطبيعيات

والمجسطي وكثير من كتب الطب فاهتم العرب بنقلها الى العربية واخذوا يتهافتون عليها تهافت الفراش ويردون مناهلها ورود الظمآن إلى الماء الزلال

وقد كان علم الطب من بين تلك العلوم أكثرها اهتماما وعناية لديهم وقد ساعد على هذا الأمر يومذاك أن المنصور أصيب بمرض في معدته انقطعت من أجله شهوته للطعام ولم ينفعه العلاج بالرغم من عناية أطباء مصره واهتمامهم في امره فطلب الى وزيره الربيع أن يفحص له عن طبيب حاذق يرجع اليه في علاج ما كان يجده من ألم ولما أخذ الربيع يفتش عما طلب اليه الخليفـــة أرشد الى الطبيب ﴿ جورجيس ﴾ النصراني رئيس مارستان أو مدرسة ﴿ جنديسابور ﴾ وكان ماهراً حاذقا في الطب كثير التأليف والتصنيف فيه باللغة السريانية ، فبعث اليه المنصور من أحضره له ، بعد أن خلف ولده (بختيشوع) مكانه ، ولما ورد على الخليفة أكرمه ، ووقع عنده موقعاً حسناً لما رأى فيه من الوقار ورزانة العقل ، لا سيما وقد أبل عن مرضه إبلالا سريعاً ، وشفي من علته شفاء عاجلا كاملا بعلاجه .

ولما أراد الرجوع إلى بلده ووطنه منعه الخليفة ، وأغـــدق عليه الأموال والعطايا الوافرة طمعاً في أبقائه ، فبقي في بغداد يطبب المرضى مدة طويلة ، ثم ترجم إلى العربية كثيراً من كتبه الطبية ومن كتب غيره في الطب .

وبهذه الحركة من (جورجيس) أخذ الكثير من الأطباء غيره في بغداد أيضاً ينقل ويترجم من السريانية إلى العربية وذلك بعناية المنصور

وبذله الأموال للمترجمين والناقلين لاسيما في الطب . فاتسع نطاق الطب في بغداد وتكاثرت روّاده وورّاده ، وراجت التآليف ونبغ كثير من نطس الاطباء ، وشاعت عنهم المعاجز الطبية الكثيرة .

ولما اشتهرت مساعدة المنصور وسائر الأمراء والمثرين من أهل بغداد لاصحاب العلوم ، رغب الكثير من أطباء (جنديسابور) بالانتقال إلى بغـــداد ـ بلد العلم والمال ـ وأرسل الطبيب (جرجيس) على ولده (بختيشوع) بأمر الخليفة ، ثم جاء بعده (ماسوية) أبو يوحنا ثم أعقبه يوحنا وهكذا أخذت الاطباء تتقاطر وتتوارد من سائر الأقطار إلى دار السلام ، حتى أصبحت دار الخلافة (بغداد) في عصر المنصور ، وهو العصر الذي عاش فيه ـ الامام الصادق (ع) ـ كعبة العلم ومقصد رواد الفضل والأدب ومقر نقلة العلوم والفنون وعلى الاخص الطب الذي شاع تدريسه وكثر المعالجون به ، حتى قصدهم المرضى من كل حدب وصوب ، للاستشفاء والعـــلاج .

أما أبو عبدالله الصادق عليه السلام ، فقد كان ناديه في ذلك العصر مهوى قلوب رواد الفضل والفضيلة ، والمدرسة الكبرى لكل علم وفن وفلسفة وأدب ، إذ كان عليه السلام يلقي فيه على أصحابه وتلامذته والمنتهلين من بحر علومه من كل ما يشفي غليل القلوب العادية ويروي النفوس المتعطشة المتشوقة إلى طلب المعارف السامية دروساً بليغة لم تكن تدركها عقول علماء ذلك الجيل لولاد ، ولم تقف على أسرارها ـ لو لم يوضحها لهم ـ فحول

الحكماء في ذلك العصر .

ونظرة واحدة في كتاب توحيد المفضل (١) وتأمل بسيط في بعض مناظراته الطبية مع أطباء عصره يكفيانك دليلا على وفور علمه الغزير وكامل معرفته بهذا العلم الجليل (علم الطب) . ثم ينبئانك أن أقواله القيمة وكلماته الحكيمة في الطب لم تكشف حقيقتها ، ولم يدرك مغزاها أطباء عصره كما اكتشفت بعد عدة قرون ، حيث تدرج الفكر البشري مرتقيا ـ حسب نظرية النشوء والارتقاء ـ وأخذت افكار نطس الأطباء وعقول جهابذة العلماء والحكماء تنمو بالتجارب ، وتتقدم بالاكتشافات ، حتى بلغت عصرنا الحاضر ، عصر النور والعلم والاختراع ، فادركت أسرار كلامه ، ووقفت على مكنون أقواله .

وإليك فيما يلي من الفصول الآتية بعض ما وصلنا اليه من كلامه (ع) في الطب وقليلا من كثير مما ذكرته الكتب وأخبرتنا به الأحاديث الصحيحة المسندة من وصفاته الطبية ومناظراته الدالة على معرفته الكاملة في أصول الطب وفروعه .

---

(١) مجموعة محاضرات القاها الامام الصادق (ع) على تلميذه المفضل ابن عمر في إثبات التوحيد .

(طب الامام عليه السلام)

تمهيد :

هبط القرآن الكريم على صاحب الرسالة العامة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله بكل مايصلح هذه البشرية في كافة نواحيها الحيوية فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولم يفرط في شيء مما تحتاجه هذه الحياة إلا عالجه ولم يهمل جانباً من جوانب إصلاحها إلا أبانه ، ملائماً لكل ظرف من ظروفها ، وافقاً لكل دور من أدوار حياة الانسان ، في أجياله المتعاقبة ، وعصوره المتتالية .

فهو قانون عالمي عام ، وناموس إصلاحي شامل ، ومنهاج سماوي حكيم ، أرسله اللطيف الخبير ، بواسطة أصدق خلقه لاسعاد هذا الانسان الجاهل وتقويم ما اعوج من طباعه ، وانتشاله من هوة الهمجية إلى مرتفع ذروة الراحة والهناء . فكان من الضروري — نظراً لهذه الغاية السامية — أن يجيء شاملا بعنايته الاصلاحية كل ناحية من مناحي الحياة الانسانية ، ليسير كل حي في طريقه المستقيم إلى السعادة ، فيؤدي واجبه من

الطاعة والعبادة .

وهكذا فقد جاء القرآن الحكيم ، وفيه تبيان كل شيء وهدى ورحمة للعالمين ، حاويا من الكنوز العلمية ، والارشادات السماوية مالا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم ممن من الله عليهم بمعرفتها واختارهم للاطلاع عليها وخصهم دون خلقه بها فجعلهم أدلاء على الخير ، ومصابيح يهتدى بهم نحو سبيل الحياة السعيدة .

ولما كانت التكاليف السماوية لم تشرع إلا لسليم العقل ، ولم يكن العقل السليم إلا في الجسم السليم ، كان من الحكمة واللطف الالهي أن يلحظ القرآن هذه الناحية المهمة من الانسان ، أعني صحة الجسم ملاحظة خاصة ، وأن يهتم بها اهتماما لايقل عن الاهتمام بالتكاليف الشرعية نفسها لتوقفها عليها .

ولأجله فقد ذكر الكتاب المجيد كل أسس الطب ودعائم الصحة في آية واحدة ترجع اليها خلاصة أفكار الفلاسفة والحكماء طيلة قرون عدة وتقف عندها تجارب العلماء ، والأطباء حتى في هذا العصر ، عصر العلم والاختراع . وهي قوله تعالى : يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لايحب المسرفين (١) .

فان كافة الأطباء قد أجمعوا بعد التحقيق العلمي المستمر ، والتجارب المتعاقبة على أن مدار صحة الاجسام ودعامة سلامتها ، هو الاعتدال في الطعام

---

(١) الاعراف : ٢٩

وأن هذا الاعتدال إذا ما تعدى إلى الافراط أو الاسراف ، أصبح وبالا على البدن وفتح بابا واسعا للفتك بالأجسام والنفوس . وما هذا النتاج العلمي الذي يفخر به الطب في تقدمه إلا مؤدى هذه الكلمات الثلاث : كلوا . واشربوا . ولاتسرفوا . حيث جمعت في طيها جميع أسس علم حفظ الصحة وخلاصة نواميسه .

أما النبي الكريم صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله فقد وردت عنه من التعاليم والأرشادات الصحية ماتتوف حد الحصر ، وكلها أصول ترتكز عليها قواعد هذا العلم وتدعم بها أركانه مثل قوله ﴿ص﴾ مشيراً إلى أعظم نقطة يتطلبها علماء هذا الفن في أبحاثهم وهي : النظافة والرياضة العقلية والبدنية حيث يقول :

بئس العبد القاذورة (١)

كل لهو باطل إلا ثلاث : تأديبه الفرس ، ورميه عن قوسه ، وملاعبته امرأته ، فانه حق (٢)

روحوا القلوب ساعة بعد ساعة (٣)

كما كان صلى الله عليه وآله يقول وهو حديث مشهور : المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ماعود .

---

(١) دعائم الاسلام المخطوطة للقاضي النعمان المصري المتوفى ٣٦٣

(٢) الفصول المهمة للحر العاملي

(٣) مجلة الدكتور المصرية

وكقوله ﷺ : تداووا فما أنزل الله داء إلا أنزل معه الدواء إلا السام (١) فانه لا دواء له (٢)

وقوله ﷺ : لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم (٣) .

وقوله ﷺ في الحمى : أطفئوا حماكم بالماء (٤)

وكان ﷺ إذا وعك دعا بماء فأدخل فيه يده (٥)

وعنه ﷺ : أن قوما من الأنصار قالوا له : يارسول الله . إن لنا جاراً يشتكي بطنه أفتأذن لنا أن نداويه ؟ قال ﷺ : بماذا تداوونه ؟ قالوا : يهودي ههنا يعالج من هذه العلة . قال ﷺ : بماذا ؟ قالوا يشق بطنه فيستخرج منه شيئاً ، فكره ذلك رسول الله ولم يجبهم فعاودوه مرتين أو ثلاث ، فقال ﷺ : افعلوا ما شئتم . فدعوا اليهودي فشق بطنه ونزع منه جراجا كثيراً ثم غسل بطنه ، ثم خاطه وداواه فصح وأخبر النبي بذلك فقال : إن الذي خلق الأدواء جعل لها دواء ، وإن خير الدواء الحجامة والفصاد والحبية السوداء « الشونيز » (٦)

أقول : وهذا الحديث الشريف يعطينا درساً عن قدم فكرة العمل الجراحي في العلاج ، وأنه لا حداثة له ، وانه آخر الدواء كالكي لا يحسن

---

(١) الموت (٢) دعائم الاسلام (٣) دعائم الاسلام

(٤) دعائم الاسلام (٥) متفق عليه بين الفريقين

(٦) دعائم الاسلام

التسرع اليه وأن لا وازع عنه في الشرع المقدس .

وأما صنو النبي ﴿ص﴾ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيفيم عن اعتنائه البالغ بهذا الشأن قوله المشهور : العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان (١) .

وقوله ﴿ع﴾ بلفظ ابن شعبة في تحف العقول ص ٤٨ : العلم ثلاثة الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان . وقوله ﴿ع﴾ بلفظ الكراجكي في جواهره : العلوم أربعة . الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان والنجوم لمعرفة الأزمان .

وله عليه السلام كلمات قيمة في جوامع علم الأبدان كقوله (ع) اكسروا حر الحمى بالبنفسج والماء البارد (٢) وقوله (ع) لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء (٣) .

وقوله لابنه الحسن عليهما السلام : يابني ألا أعلمك أربع كلمات تستغني بها عن الطب فقال (ع) بلى . قال : لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع ، ولا تقم عن الطعام إلا وأنت تشتهيه ، وجود المضغ ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء . فاذا استعملت هذه استغنيت عن الطب (٤)

وقوله (ع) من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغذاء وليؤخر العشاء

---

(١) حديث مشهور لم أقف على مصدره

(٢) كشف الأخطار لشمس الدين ابن محمد الحسيني

(٣) كشف الأخطار (٤) خصال الصدوق

ويقل غشيان النساء وليخفف الرداء (الدين) (١) .

وإن الطف ما رأيت له عليه السلام من المواقف الطيبة الكريمة ما أخرجه رجال الحديث من الفريقين ، وقد ذكره من رجال أهل السنة : أسعد بن ابراهيم الأردبيلي المالكي ، باسناده عن عمار بن ياسر وزيد ابن أرقم . قالا :

كنا بين يدي أمير المؤمنين (ع) وإذا بزعقة عظيمة ، وكان على دكة القضاء فقال « ع » : ياعمار إئت بمن على الباب قال فخرجت واذا على الباب امرأة في قبة على جمل ، وهي تشتكي وتصيح : ياغياث المستغيثين اليك توجهت ، وبوليك توسلت ، فبيض وجهي ، وفرج عني كربتي . قال عمار وكان حولها الف فارس بسيوف مسلولة ، وقوم لها وقوم عليها فقلت أجيبوا أمير المؤمنين (ع) فنزلت المرأة ، ودخل القوم معها المسجد واجتمع أهل الكوفة . فقام أمير المؤمنين (ع) وقال : سلوني مابدا لكم يا أهل الشام فنهض من بينهم شيخ وقال : يامولاي هذه الجارية ابنتي ، وقد خطبها ملوك العرب وقد نكست رأسي بين عشيرتي ، لأنها عاتق حامل ، فاكشف هذه الغمة

فقال أمير المؤمنين (ع) : ما تقولين ياجارية ؟ قالت يامولاي : أماقوله إني عاتق فقد صدق ، وأماقوله إني حامل فوحقك يامولاي ماعلمت من نفسي خيانة قط .

فصعد المنبر وقال (ع) : علي بداية الكوفة ، فجاءت إمرأة تسمى

---

(١) كشف الأخطار

« لبناء » وهي قابلة أهل الكوفة ، فقال لها اضربي بينك وبين الناس حجابا وانظري هذه الجارية ، عاتق حامل أم لا . ففعلت ما أمرها عليه السلام ثم خرجت وقالت : نعم يامولاي هي عاتق حامل . فقال (ع) من منكم يقدرعلى قطعة ثلج في هذه الساعة ؟ فقال أبو الجارية : الثلج في بلادنا كثير ولكن لا نقدر عليه ههنا ، قال عمار : فمد يده من اعلا منبره وردها واذا فيها قطعة من الثلج (١) يقطر الماء منها ثم قال : ياداية خذي هذه القطعة من الثلج واخرجي بالجارية من المسجد ، واتركي تحتها طستا وضعي هذه القطعة مما يلي الفرج ، فسترين علقة وزنها سبعمائة وخمسون درهماً ففعلت ورجعت بالجارية والعلقة اليه وكانت كما قال «ع» ثم قال لابي الجارية : خذ ابنتك فوالله مازنت ولكن دخلت الموضع الذي فيه الماء فدخلت هذه العلقة فى جوفها وهي بنت عشر سنين وكبرت إلى الآن في بطنها (٢)

ومن لطائف ما وجدناه لأمير المؤمنين «ع» أيضاً مارواه اليافعي في روض الرياحين ص ٤٢ قال : مر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في بعض شوارع البصرة ، فاذا هو بحلقة كبيرة والناس حولها يمدون اليها

---

(١) أقول : لا غرابة فى مثل هذا بعد ما قص علينا القرآن الكريم من قصة آصف بن برخيا وقوله لسليمان (ع) لما استحضر عرش بلقيس عنده : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك : وشتان بين ابن برخيا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام فان ذاك عنده علم من الكتاب وهذا عنده علم الكتاب كله

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج ١٤ ص ٥٢٥

الأعناق ، ويشخصون إليها بالأحداق فمضى اليهم لينظر ماسبب اجتماعهم فاذا فيهم شاب من أحسن الشباب نقي الثياب ، عليه هيبة ووقار ، وسكينة الأخيار ، وهو جالس على كرسي ، والناس يأتونه بقوارير من الماء (١) وهو ينظر في دليل المرضى (٢) ويصف لكل واحد منهم مايوافقه من انواع الدواء فتقدم اليه « ع » وقال : السلام عليك أيها الطبيب ورحمة الله وبركاته ، هل عندك شيء من أدوية الذنوب ؟ فقد أعيى الناس دواؤها يرحمك الله فاطرق الطبيب برأسه إلى الأرض ولم يتكلم فناداه الامام « ع » ثانية فلم يتكلم ، فناداه ثالثة كذلك فرفع الطبيب رأسه بعد مارد السلام وقال أوتعرف أنت أدوية الذنوب بارك الله فيك ؟ قال « ع » نعم قال صف وبالله التوفيق

فقال « ع » : تعمد إلى بستان الايمان ، فتأخذ منه عروق النية ، وحب الندامة وورق التدبر ، وبزر الورع ، وثمر الفقه ، واغصان اليقين ، ولب الاخلاص وقشور الاجتهاد ، وعروق التوكل ، واكمام الاعتبار وسيقان الأنابة ، وترياق التواضع ، تأخذ هذه الأدية بقلب حاضر ووفهم وافر بأنامل التصديق وكف التوفيق ، ثم تضعها في طبق التحقيق ، ثم تغسلها بماء الدموع ، ثم تضعها في قدر الرجاء ، ثم توقد عليها بنار الشوق ، حتى ترغى زبد الحكمة ثم تفرغها في صحاف الرضا ، وتروح عليها بمراوح الاستغفار ، ينعقد لك من ذلك شربة جيدة ثم تشربها في مكان لايراك

---

(١) المراد من الماء ههنا هو البول من المريض

(٢) دليل المرضى أى بولهم

فيه أحد إلا الله تعالى فان ذلك يزيل عنك الذنوب حتى لا يبقى عليك ذنب ، فانشأ الطبيب يقول :

يا خاطب الحوراء في خدرها شمر فتقوى الله من مهرها
وكن مجداً لا تكن وانياً وجاهد النفس على صبرها

إلى غير ذلك مما يدلنا على ما للدين الحنيف من العناية بالصحة وما لدى النبي ﴿ ص ﴾ واوصيائه من المعرفة الالهية والكنوز القرآنية التي اختارهم لمعرفتها فلقد كان النبي ﴿ ص ﴾ في حياته الشريفة هو الواسطة الكبرى بين الخالق وخلقه ولما رفعه الله اليه ، ابى لطفه العام وكرمه الشامل أن يترك هذا الناس بعد النبي ﴿ ص ﴾ سدى دون أن ينصب لهم ولياً مرشداً يكشف لهم عن تلك الكنوز ، ويبث فيهم تلك التعاليم الصالحة المصلحة والارشادات الحكيمة ، فكانت اوصياؤه وابناؤه هم حملة تلك العلوم وامناء الله في أرضه على مكنون علمه وغامض سره ، ولا غرابة فقد اخذوا ذلك عن جدهم النبي ﴿ ص ﴾ عن جبرائيل (ع) عن الله تعالى .

ولقد ظهر في الناس من تعاليمهم وإرشاداتهم ما دل على كامل معرفتهم وتمام املاعتهم على مختلف العلوم لا سيما علم الطب ، حتى جمع غير واحد من العلماء جملة من أقوالهم فالفها كتبا قيمة باسم طب النبي ، وطب الأئمة وطب الرضا ، الى غيرها مما ملأت الكتب وتواترت به الاحاديث الصحيحة وفي مقدمتها ـ الرسالة الذهبية أو المذهبة ـ التي ألفها الامام ، علي بن موسى

الرضا عليه السلام ، بطلب المأمون الخليفه العباسي منه (١) وفيها فوائد جمة من قواعد الطب وأصول الصحة ، وقد أمر المأمون أن تكتب بالذهب ولذلك سميت بالذهبية أو المذهبة ، ولم يكن للخليفة عنها غنى برجال الفن المتصلين به ، نظراء حنابن ماسويه ، وجبرائيل ابن بختيشوع ، وصالح ابن سلهمة الهندي وغيرهم من أطباء البلاط العباسي (٢)

أما الامام الصادق (ع) فقد كان عصره عصر ابتداء النهضة العلمية في الجزيرة حيث اتجهت الافكار نحو طلب العلوم وأقبل الناس على اكتساب المعارف . وكان الوقت ملائما والظروف مساعدة له على بث ما لديه من تلكم الكنوز القرآنية الموروثة ، لذلك فقد ظهر من أقواله الحكيمة وآرائه الطبية الصائبة وأحاديثه العلمية والدينية الصحيحة ، ماطبق الارجاء وأنار القلوب المظلمة وهدى النفوس التائهة ، حتى قصده القاصي والداني ، بين مستشف بواسطة ارشاداته القيمة ومغترف من منهله العلمي العذب النمير .

ولأجل ذلك فقد روت عنه الرواة ، وكتبت عنه الكتب والرسائل وتخرج عليه طائفة من العلماء والحكماء وجمهرة من جهابذة الدين وكثير من أكابر الحفاظ والمحدثين ، حتى أصبح قوله (ع) فصل الخطاب فاذا قيل قال الصادق وقفت العلماء دون قوله واجمين ، وبما ورد عنه معترفين ، وله خاضعين .

---

(١) تذكر برمتها فى بحار الأنوار ج ١٤ ص ٥٥٤ - ٥٦٧

(٢) وقد شرح هذا الكتاب وعلق عليه وحققه الدكتور صاحب زيني النجفي باسم طب الرضا فى سلسلة (ملتقى العصرين) التى كانت تصدر فى الكاظمية .

وها نحن الآن نقدم اليك مايخص موضوعنا هذا مما ورد عنه (ع) في علم الطب خاصة بيد أن طلبنا الاختصار في هذه الرسالة جعلنا نكتفي بالنزر القليل من وافر علمه وجزيل فضله لعدم إمكان الاحاطة الكاملة في هذا المختصر

كما أن من المستحسن أيضاً قبل الشروع في البحث أن نذكر القاريء الكريم ما يلزم ذكره ههنا لكي لا يغفل طالب الحقيقة فيزل أو يغتر بأقوال بعض ذوي الأغراض الخسيسة فيضن ، من أن الامام ابا عبدالله الصادق (ع) أخذ هذه العلوم عمن ورد الجزيرة من علماء الأجانب فلاسفة وأطباء وغيرهم إذ من البديهي المسلم كما ستثبته لك أن معرفته (ع) لم تكن إلا قبساً من أشعة علم النبي صلى الله عليه وآله الذي اخذه عن الوحي ـ إذ أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ـ ثم أستودع ذلك وصيه الذي قال فيه : أنا مدينة العلم وعلي بابها (١) وأن وصيه هذا هو الذي قال : سلوني قبل أن تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي (٢) . ثم استودعه علي (ع) ولديه الحسن والحسين عليهما السلام الذين قال النبي فيهما : هذان إمامان قاما أو قعدا (٣) ثم كان ذلك العلم الآلهي لدى الامام السجاد (ع) ومنه لدى الامام الباقر (ع) ثم ورثه الامام الباقر ولده الامام ابا عبدالله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام .

---

(١) الغدير للأميني ج ٦ ص ٥٤

(٢) الغدير للأميني ج ٦ ص ١٧٨

(٣) حديث متفق عليه لدى الفريقين

إذاً فهذه العظمة العلمية في شخصية الامام الصادق (ع) لم تكن إلا سراً من أسرار الكتاب ونوراً من أنوار النبوة وفيضاً من فيوضات الامامة لاغير ولو كانت مكتسبة لظهر من اساتذته ومعاميه «كما زعم الجاهلون» بعض ما ظهر منه مما ملأ الكتب وفاضت به الاخبار والاحاديث.

ثم دع ما تقدم وتأمل منصفاً ثم انظر في أقواله وتعاليمه بعين طالب الحقيقة فهل تجد لكل من ورد الجزيرة آنذاك من أطباء وحكماء وفلاسفة اطلاعاً على آرائه وأقواله او إدراكاً لما أبانه واظهره مما لم يدركه العلم في ذلك العصر ولم يقف العلماء على مغزاه ومرماه إلا بعد قرون متطاولة واجيال متعاقبة.

وبعد أن مخضتهم التجارب العملية وأرشدتهم الاكتشافات العلمية إلى معرفة ذلك والآن اذكرك بعض مناظراته الطبية لأثبت صحة دعوانا في طب الامام (ع) ولتحكم على نفسك بنفسك، وإليك بعضها.

(مناظرة الامام (ع) مع الطبيب الهندي (١))

عن محمد بن ابراهيم الطالقاني عن الحسن بن علي العدوي عن عباد بن صهيب عن أبيه عن جده عن الربيع صاحب المنصور قال: حضر ابو عبد الله (ع) مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ عليه كتب الطب، فجعل ابوعبد الله «ع» ينصت لقراءته فلما فرغ الهندي

(١) بحار الانوار ج ١٤ ص ٤٧٨ وفي كشف الاخطار (مخطوط)

قال له يا أبا عبدالله ، أتريد مما معي شيئا ؟ قال لا فان معي ماهو خير مما معك قال وما هو ؟ قال « ع » : أداوي الحار بالبارد ، والبارد بالحار ، والرطب باليابس ، واليابس بالرطب ، وأرد الامر كله الى الله عزوجل ، واستعمل ماقاله رسول الله « ص » : واعلم ان المعدة بيت الداء وان الحمية راس كل دواء واعود البدن ما اعتاده ، فقال الهندي : وهل الطب إلا هذا فقال الصادق « ع » : اتراني من كتب الطب أخذت ، قال نعم . قال (ع) لا والله ما أخـــذت إلا عن الله سبحانه ، فاخبرني ، أنا أعلم بالطب أم أنت ؟ قال الهندي : بل أنا ، قال الصادق « ع » : فاسألك شيئاً قال سل ، قال الصادق عليه السلام اخبرني ياهندي .

لم كان في الرأس شؤن ؟ قال : لا اعلم

فلم جعل الشعر عليه من فوق ؟ قال : لا أعلم

فلم خلت الجبهة من الشعر ؟ قال : لا أعلم

قال « ع » : فلم كان لها تخطيط وأسارير ؟ قال : لا أعلم

فلم كان الحاجبان فوق العينين ؟ قال : لا أعلم

فلم جعلت العينان كالوزتين ؟ قال لا أعلم

فلم جعل الأنف فيما بينهما ؟ قال لا أعلم

فلم كان ثقب الأنف في أسفله ؟ قال : لا أعلم

فلم جعلت الشفة والشارب فوق الفم ؟ قال : لا أعلم

فلم أحد السن وعرض الضرس وطال الناب ؟ قال : لا أعلم

فلم جعلت اللحية للرجال ؟ قال : لا أعلم

فلم خلت الكفان من الشعر ؟ قال : لا أعلم

فلم خلا الظفر والشعر من الحياة ؟ قال : لا أعلم

فلم كان القلب كحب الصنوبر ؟ قال : لا أعلم

فلم كانت الرئة قطعتين وجعلت حركتهما في موضعهما ؟ قال : لا أعلم

فلم كانت الكبد حدباء ؟ قال : لا أعلم

فلم كانت الكلية كحب اللوبية ؟ قال : لا أعلم

فلم جعل طي الركبة إلى خلف ؟ قال : لا أعلم

فلم انحصرت القدم ؟ قال : لا أعلم

قال الصادق « ع » : لكني أعلم ، قال الهندي فأجب

قال الصادق « ع » : كان في الرأس شؤن لأن المجوف إذا كان بلا فصل أسرع اليه الصداع فاذا جعل ذا فصول كان الصداع منه أبعد

وجعل الشعر من فوقه ليوصل بوصوله الادهان إلى الدماغ ويخرج بأطرافه البخار منه ويرد الحر والبرد عنه .

وخلت الحجبة من الشعر لأنها مصب النور إلى العينين .

وجعل فيهما التخطيط والأسارير ليحتبس العرق الوارد من الرأس إلى العين قدر ما يميطه الانسان عن نفسه كالأنهار في الأرض التي تحبس المياه

وجعل الحاجبان من فوق العينين ليردا عليهما من النور قدر الكفاية ألا ترى يا هندي أن من غلبه النور جعل يده على عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه

وجعل الأنف بينهما ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواء .

وكانت العين كالوزة ليجري فيها الميل بالدواء ويخرج منها الداء ولو كانت مربعة أو مدورة ما جرى فيها الميل ولا وصل اليها دواء ولا خرج منها داء .

وجعل ثقب الأنف في أسفله لتنزل منه الأدواء المنحدرة من الدماغ وتصعد فيه الروائح إلى المشام ، ولو كان في أعلاه لما نزل منه داء ولا وجد رائحة .

وجعل الشارب والشفة فوق الفم لحبس ماينزل من الدماغ عن الفم لأن لا يتعفن فينغص على الانسان طعامه وشرابه فيميطه عن نفسه .

وجعلت اللحية للرجال ليستغني بها عن الكشف في المنظر ويعلم بها الذكر من الأنثى .

وجعل السن حاداً لأن به يقع العض

وجعل الضرس عريضاً لأن به يقع الطحن والمضغ .

وكان الناب طويلا ليسند الاضراس والأسنان كالاسطوانة في البناء

وخلا الكفان من الشعر لأن بهما يقع اللمس فلو كان فيهما شعر ما درى الانسان ما يقابله ويلمسه .

وخلا الشعر والظفر من الحياة لأن طولهما سمج يقبح وقصهما حسن فلو كان فيهما حياة لألم الانسان قصهما .

وكان القلب كحب الصنوبر لانه منكس ، فجعل رأسه دقيقاً ليدخل

في الرئة فيتروح عنه ببردها ولئلا يشيط الدماغ بحره .

وجعلت الرئة قطعتين ليدخل القلب بين مضاغطها فيتروح بحركتها وكانت الكبد حدباء لتثقل المعـــدة وتقع جميعها عليها فتعصرها ليخرج ما فيها من البخار .

وجعلت الكلية كحب الفاوبيا لأن عليها مصب المني نقطة بعد نقطة فلو كانت مربعة أو مدورة لاحتبست النقطة الاولى إلى الثانية فلا يلتذ بخروجها إذ المني ينزل من فقار الظهر إلى الكلية وهي تنقبض وتنبسط وترميه أولا فاولا إلى المثانة كالبندقة من القوس .

وجعل طي الركبة إلى خلف لان الانسان يمشي إلى ما بين يديه فتعتدل الحركات ولولا ذلك لسقط في المشي .

وجعلت القدم متخصرة لان المشي إذا وقع على الارض جميعه ثقل ثقل حجر الرحى .

فقال الهندي : من أين لك هذا العلم ؟ فقال (ع) : اخذته عن آبائي عليهم السلام عن رسول الله (ص) عن جبرائيل (ع) عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الاجساد والارواح .

فقال الهندي : صدقت وانا أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وعبده وانك أعلم أهل زمانك . انتهى .

سؤال النصراني عن عدد عظام الانسان (١)

في المناقب لابن شهر اشوب : عن سالم بن الضرير ان نصرانيا سأل الصادق (ع) عن أسرار الطب ثم سأله عن تفصيل الجسم فقال (ع) : إن الله خلق الانسان على اثنى عشر وصلا ، وعلى مائتين وثمانية واربعين عظما وعلى ثلاثمائة وستين عرقا ، فالعروق هي التي تسقي الجسد كله ، والعظام تمسكه واللحم يمسك العظام ، والعصب تمسك اللحم ، وجعل في يديه اثنين وثمانين عظما في كل يد احدى واربعون عظما ، منها في كفه خمسة وثلاثون عظما وفي ساعده اثنان وفي عضده واحد وفي كتفه ثلاثة ، فذلك احدى واربعون وكذلك في الاخرى ، وفي رجله ثلاثة واربعون عظما منها في قدمه خمسة وثلاثون عظما ، وفي ساقه اثنان وفي ركبته ثلاثة وفي فخذه واحد وفي وركه اثنان وكذلك في الاخرى ، وفي صلبه ثماني عشر فقارة ، وفي كل واحد من جنبيه تسعة اضلاع ، وفي وقصته (٢) ثمانية ، وفي رأسه ستة وثلاثون عظما ، وفي فمه ثماني وعشرون أو اثنان وثلاثون عظما .

أقول : المراد بالوصل هو الاعضاء العظيمة المتصلة بعضها ببعض وهي اثنا عشر الرأس والعنق والعضدين والساعدين والفخذين والساقين واضلاع اليمين واضلاع اليسار .

---

(١) بحار الأنوار ج ١٤ ص ٤٨٠

(٢) الوقصة العنق

ولعمري ان هذا الحصر والتعداد هو عين ما ذكره المشرحون في هذا العصر لم يزيدوا ولم ينقصوا اللهم إلا في التسمية أو جعل الاثنين لاتصالها واحداً أو بالعكس وهذا مما يدلنا على اطلاعه الكامل بالتشريح ونظره الثاقب في بيان تفصيل الهيكل العظمي في بدن الانسان .

وهناك أيضاً بعض اسراره الطبية العجيبة التي لم يكشفها علم الطب إلا بعد ان كملت العقلية البشرية، ولم يعرفها الاطباء ذووا الافكار الجبارة إلا بعد التجارب والتحقيق والتنقيب العلمي الكثير . فمنها :

الدورة الدموية

جاء في كتاب (توحيد المفضل) ، وهو جملة محاضرات القاها الامام (ع) على تلميذه (المفضل بن عمر) في اثبات التوحيد ، من المسائل الطبية الجليلة ما لم يحلم بها الاطباء في ذلك العصر ، ولم يدركوها إلا بعد اثنى عشر قرناً ، عندما ظهر الاستاذ الدكتور (هارفي) الطبيب الشهير المعروف لدى الاطباء (بمكتشف الدورة الدموية) واكتشف ذلك الاكتشاف الذي افتخر به الغرب حتى جعله من معجزات عصر الاختراعات والذي قلب الطب ظهراً على عقب .

وهو في الحقيقة ، ولدى التأمل المنصف ، اكتشاف كان قد ذكره الامام الصادق عليه السلام ، في طي كلامه مع المفضل ، فلو نظرت اليه وتأملته لعلمت علم اليقين ، ان هذا المكتشف العظيم لم يأت بشيء جديد،

ولم يكن إلا عيالا على ماقاله ابو عبدالله الصادق (ع) قبل قرون عدة .

تأمل قوله (ع) حيث يقول :

فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن ، ومافيه من التدبير ، فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه ، وتبعث بصفوه إلى الكبد ، في عروق رقاق واشجة بينهما ، قد جعلت كالمصفى للغذاء ، لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فينكأها وذلك ان الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ، ثم ان الكبد تقبله ، فيستحيل فيها بلطف التدبير دماً ، فينفذ في البدن كله في مجار مهيأة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيأ الماء حتى يطرد في الارض كلها ، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مغايض اعدت لذلك ، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال ، وما كان من جنس البلة والرطوبة جرى الى المثانة ، فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ،ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها ، واعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول ، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه ، فتبارك من احسن التقدير واحكم التدبير . انتهى (١)

أقول : هكذا ورد عنه (ع) وهو صريح في بيان كيفية الدورة الدموية على حسب ما وصل اليه الطب الحديث بعد مايناهز الاثنى عشر قرنا مضافا إلى مالوح فيه إلى وظائف الجهاز الهضمي ، والجهاز البولي ، وإلى وظيفة المرارة والطحال والكبد والمثانة ، كما انه « ع » أشار أيضاً بقوله :

---

(١) توحيد المفضل .

﴿ لئلا ينتشر في البدن فيسقمه وينهكه ﴾ . إلى ما أثبته طب القرن العشرين من التسمم البولي الحاصل من رجوع البول من المثانة إلى الدم عندما لم يخرج منها فينتشر بواسطة الدم في جميع أعضاء البدن فيسممه ويسقمه ، وإلى التسمم المعدي الحاصل من تعفن الفضلات المعدية غير المندفعة منها والتي تحدث برجوعها متعفنة إلى البدن التهابات توجب تسممه وانتباكه فتأمل .

كيفية السماع والابصار

لقد ثبت في علم الطب الحديث ، وأصبح من البديهي لدى نطس الاطباء بعد التجارب والبحث العلمي في كيفية السماع : أن بين منبع الصوت والاذن السامعة توجد على الدوام مسافة ولأجل أن يدرك الصوت يحتاج الى أن يكون بينهما وسط ذو مرونة ، وهذا الوسط المرن هو الهواء بوجه عام ، فاذا لم يكن هذا الوسط المرن بين السمع والمسموع لم يدرك الصوت ، ولذلك فلا يسمع صوت في الخلاء (أي في الموضع الخالي من الهواء) البته .

كما أجمعوا أيضاً : على ان المرئيات مطلقا لاترى مالم يشع عليها ضوء خارج عنها كضوء الشمس أو نور القمر ، او ضوء المصباح ، او نور النجوم واشباهها ، فان هذه الأشعة المنعكسة من أي مرئي كانت تدخل في العين من القرنية الشفافة وتمر بالحدقة بالبؤبؤ ثم تسقط على الشبكية وترسم عليها صورة المرئي .

إذاً فلا سماع إلا بالهواء ولا رؤية إلا بالضياء حسب العلم الحديث وهذا القول الناتج بعد البحث والتنقيب من قبل علماء وفطاحل وبتجارب كثيرة طيلة اعوام وأجيال ، هو بلا ريب جاء مطابقاً لقول الامام الصادق عليه السلام بل هو عين ماذكره قبل مدة غير قصيرة أي قبل الف ومائتي عام ، وذلك حيث يقول عليه السلام (١) .

انظر الآن يامفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره (إلى أن يقول) فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات ، فخلق البصر ليدرك الالوان ، فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة ، وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب وكذلك ساير الحواس ثم هذا يرجع متكافئاً فلو كان بصر ولم تكن ألوان لما كان للبصر معنى ، ولو كان سمع ولم تكن أصوات لم يكن للسمع موضع ، فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضاً ، فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ، ولكل محسوس حاسة تدركه ، ومع هذا فقد جعلت اشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحس إلا بها ، كمثل الضياء والهواء فانه لولم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ، ولولم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع ، لم يكن السمع يدرك الصوت . الخ فتأمل وانصف وجدانك أهل جاء الطب

---

(١) توحيد المفضل .

الحديث بغير ما ذكره الامام (ع) للمفضل في محاضرته القيمة بصورة سهلة وعبارة واضحة .

واليك نظرية طبية ثالثة ذكرها الامام الصادق (ع) قبل اكتشاف العلم الحديث لها في القرن التاسع عشر الميلادي وهي حصول العدوى من السقيم الى المريض بواسطة الجراثيم كما سنذكره لك .

العدوى والجراثيم

قال الامام جعفر بن محمد الصادق ع (١) لا يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينهما قدر ذراع ، وفي لفظ آخر قدر رمح .

وهذا من اوضح الدلالات على وجود العدوى في الاسلام وانها تكون بواسطة الجراثيم وقد اثبت علم الطب الحديث باكتشاف علماء (البكتريولوجيا) اجماعاً ، ان ميكروب الجذام يندر وجوده في الهواء حول المصاب اكثر من بعد مسافة متر أو متر ونصف وربما كان كذلك في المسلولين ، وهو قول يطابق قول الامام عليه السلام ، ولا غرابة في معرفة الامام (ع) بهذا وامثاله ، بعد أن كان من الراسخين في العلم ومن الذين اختارهم الله لسره ، واطلعهم على غامض علمه ، وبعد أن ورد عن النبي (ص) قوله : فر من المجذوم فرارك من الأسد (٢) . وقوله (ص) : لا تدخلوا

---

(١) الوسائل ج ٢ ص ٢٠٨ طبع عين الدولة .

(٢) البحار ج ١٦ .

بلداً يكون فيه الوباء (١) ، وقوله (ص) : لا يوردن ممرض على مصح (٢) الى غيرها من الاحاديث الدالة على ذلك .

إذاً فالاسلام مثبت على هذا وجود الجراثيم المرضية وعدواها ، وانها موجودة في جسم المصاب ، قبل أن يكتشفها الدكتور الافرنسي (دافين) في سنة ١٨٥٠ م ، وقبل أن يشاهدها بمجهره الاستاذ الدكتور (باستور) في اواخر القرن التاسع عشر .

هذا مضافا الى أن العقل ايضا يحكم بوجودها في الامراض السارية المعدية ذلك لان المرض لم يكن في الاجسام إلا عرضاً وارداً عليها ، ومن المسلم ان العرض لا يمكن أن يقوم بذاته في الخارج دون أن يعرض على جسم آخر يقوم به ، فاذا قيل انتقل المرض فمعناه ، ان الجسم الحامل له هو المنتقل به ، وليس الميكروب ، الا هذا الجسم الناقل ، ولم يرد النهي عن دخول البلد التي فيها الوباء أو الأمر بالفرار من المجذوم او عدم ورود الممرض على المصح الى غير ذلك إلا لعدم انتقال هذا الجسم الحامل للمرض (الجراثيم) من جسم السقيم الى جسم السليم ، وليست العدوى الا هذا .

بقي هنا أن ننظر إلى ما أخرجه رواة الحديث من الفريقين باسناد صحيحة عن رسول الله (ص) من قوله (ص) : لا عدوى ولا طيرة (٣)

---

(١) مجمع البحرين فى باب عدى وصحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٩)

الى غيره بالفاظ اخر فهو يؤل باحد معنيين :

الاول : ان دين الاسلام جاء بنواميس وطقوس تمنع من التام أي من الاوباء الموجبة للعدوى ، فقد نهى عن أقسام الفجور المستتبعة للامراض السارية ، كما جاء باصول الصحة جمعاء فنهى مثلا عن الاكل قبل الجوع والكف قبل الشبع ، مما يمنع السدود ، وفساد الاخلاط ، والتخمة التي هي من امهات الامراض ، الي غير ذلك مما يضيق به هذا المختصر ، ثم حرم الاشياء الضارة كلها ، كما اثبت الطب اضرار استعمالها بعد التجارب العلمية الكثيرة . فمتى التزم المسلم بها ، اي بتلك الآداب والسنن والاحكام والتعاليم ، فانه لا يكاد يجد لأي مرض الماما به مما يستتبع العدوى ، عدا طفايف تتكيف بها النفس من حر أو برد وامثالهما مما لا عدوى فيها .

وهذا المعنى يناسب نفي الذات الظاهر في الحديث .

الثاني : ان الاسلام حصر كلية التأثير في الاجزاء الكونية بالمبدأ الاقدس سبحانه وتعالى ، فلا يرى المسلم المعتنق لهذا الدين الحنيف ، ان تلكم الامراض تستازم العدوى بانفسها لا محالة (كما هو مزعمة الجاهلية) وإنما يعتقد ان ذلك التأثير ممدود من المبدأ الحق سبحانه ، وهذا هو المقصود ﴿ بالطيرة ﴾ وان ما يتطير به غير مستقل بالتأثير ، ولا يكون إلا ما شاء الله ، فاذا اعتقد الانسان ذلك اكتسح عنه الاضطراب بما تطير به ، لانه أمر مردد بين مقدر وغير مقدر ، والاول ﴿المقدر﴾ لا ندحة له ، والثاني ﴿ غير المقدر ﴾ لا يصيبه البته ، وربما ينفى عنه بهذا الاعتقاد

اصل التطير ، فلا يتطير بعد ، ومن هنا كان صلى الله عليه وآله يقول : إن الذي انزل الداء انزل الدواء (١) .

قال الطيبي (٢) : لا التي لنفي الجنس دخلت على المذكورات ، ونفت ذواتها ، وهي غير منفية ، فيوجه النفي الى اوصافها واحوالها ، التي هي مخالفة الشرع ، فان العدوى ، والصفر ، والهامة ، موجودة ، والنفي ما زعمت الجاهلية لا إثباتها ، فان نفي الذات لارادة الصفات ابلغ في باب الكناية . انتهى .

وهناك معان اخرى للحديث ، يتأتى بها الوفاق بينه وبين ما مر ، اقتصرنا على ما ذكرنا روماً للاختصار .

والآن وبعد ذكرنا للجراثيم ، ناسب ان نذكر لك نبذة قصيرة عن تاريخها وأثرها في الاجسام ، وكيفية ورود العدوى بواسطتها ، حسب الطب الحديث ، إتماماً للفائدة ، وإيضاحاً للبحث .

الجراثيم ومجمل تاريخها :

الجراثيم « الميكروبات » جمع جرثومة « ميكروب » ومعنى كلمة ميكروب هو « الحي الدقيق » وقد وضع هذا الاسم لهذا الحي رجل يدعى « سيد للوت » سنة ١٨٧٨م. اما العلم الذي يبحث عنها وعن انواعها وآثارها

(١) كشف الاخطار المخطوطة .

(٢) بكسر الطاء والياء الخفيفة . هو الحسن بن محمد بن عبدالله المحدث المفسر المتوفى سنة ٧٤٣ هـ كما في الكنى والالقاب للقمي ص ٤١١ .

فيسمى (علم البكتريولوجيا) وهو لفظ يوناني مأخوذ من تركيب لفظة (بكتريا) بمعنى العصي جمع عصا ، وذلك لان شكل الكثير منها مستقيم كالعصا ولفظة (لوجيا) بمعنى العلم . اما المؤسس لهذا العلم فهو الاستاذ (لويس باستور) الافرنسي المتولد سنة ١٨٢٢ م والمتوفى سنة ١٨٩٥ م

واشهر من نبغ فيه بعده الاستاذ الدكتور (روبرت كوخ) الالماني مكتشف ميكروب الدرن الرئوي فى السل والمتولد سنة ١٨٤٣ م والمتوفى سنة ١٩١٠ م .

وغير خفي ان الذي هدى الناس إلى معرفة هذه الاحياء الدقيقة (غير المرئية بالعين) هو المجهر (الميكرسكوب) الذي اخترع سنة ١٥٩٠م قبل تأسيس هذا العلم بمدة طويلة .

وللجراثيم أشكال ثلاثة على الاغلب .

١ — الشكل البسيلي أي المستطيل .

٢ — البزور وهي التي ترى كنقط صغار ، قد يلتقي بعضها ببعض فتتكون منها خيوط تسمى (البزور السلسلية) وقد تجتمع مثنى وثلاث ورباع وقد تتكون باجتماعها على شكل الكلية ، أو على شكل عنقود فتسمى (الكلية) (بتشديد الياء) أو العنقودية إلى غير ذلك .

٣ — الشكل الحلزوني ، وهو جراثيم مستطيلة ملتوية على نفسها كالثعبان ، أو كحركة الضمة ، أو الشولة . ولذلك تسمى احيانًا (الباسيل الضمي) . وقد يكون لقسم منها اهداب في اطرافه .

وهذه الجراثيم تنمو وتتوالد بأحدى طريقتين :

١ — اما بانقسامها عرضاً إلى قسمين ، وكل قسم منها إلى قسمين أيضاً ، وهلم جرا .

٢ — واما بتولد حبيبة في داخل الجرثومة تنفلق عنها ، ثم تنمو هذه الحبيبة فتكون جرثومة ، وهكذا بكل سرعة .

ويحدث ضررها بنموها فى السائل الذى تتربى فيه ، وبافرازها فيه مواداً تفتك فى البدن فتكا ذريعاً مهما كانت قليلة أوضعيفة .

اما طريق العدوى بها ، وبعبارة أوضح طريق دخول الجراثيم إلى الجسم ، فلذلك ابواب كثيرة . أهمها أربعة .

١ — الرئتان ٢ — الجهاز الهضمي ٣ — الجلد ٤ — الأغشية المخاطية كاعضاء التناسل والعين مثلا ، ولا يلزم ان يكون سطح الجسم أو الأغشية المخاطية مجروحة ، لكي يدخل ذلك الميكروب من الجرح ، بل قد يدخل من الأماكن ذات النسج الرقيق من الجلد ، أو من مسامها ، ولكن الجرح يسهل الدخول .

أما مصادر خروج الميكروب ، أي الأشياء التي تحمل الجراثيم وتتصل بالبدن ثم تنقلها اليه ، فهي :

١ — الهواء ٢ — الطعام ٣ — الشراب ٤ — التراب ٥ — ما يلامس جلد المصاب من الاجسام الخارجية كالملابس والاواني وامثالها .

ولقائل ان يقول : كيف توجد العدوى ، ونرى بالحس والوجدان ان ليس كل انسان ، أتصل به ميكروب مرض معدي ، أصيب به ، فكم من متعرض لذلك ينجو ، وكم من متوق محتاط يصاب باسرع من غيره ، إذاً فما معنى العدوى وهل تلك الاصابة الاصدفة ، كما اتفقت للمريض الأول

فنقول : لا لوم عليك إذا ما تصورت ذلك فانكرت العدوى فان الظاهر كما زعمت ، ولكن قد غاب عنك ، ان الأطباء والعلماء قد اتفقوا بلا خلاف ، على إن أثر العدوى بالجراثيم المرضية ، وسرايتها في السليم ، متوقفة على شروط ، ان لم تحصل ، لا يحصل أثر العدوى البته ، وهي :

أولا — القابلية : ومعناها ان يوجد في الميكروبات ما يحصل به نماؤها ، مثل ضعف الكريات البيض في دم السليم ، التي هي بمنزلة الجنود المدافعة عن البدن ، والمكلفة باقتناص ما يرد اليه من الجراثيم المرضية الفتاكة وردعها عنه بكل قواها ، فاذا ضعفت هذه الكريات في الدم ، اصبح البدن مستعداً الى قبول الجراثيم ، غير مدافع فتكها .

ثانياً — الفاعلية : ومعناها ان تحصل تلك الجرثومة في بيئة أو وسط ملائمين نموها ، مساعدين لها على مكثها وتفريخها .

ثالثاً — حصول الوقت الكافي لتأثيرها في البدن .

فاذا حصلت هذه الشروط الثلاثة ، وحصل الناقل لها كالهواء أو الطعام أو الشراب أو غيرها ، حصلت العدوى والا فلا عدوى .

ثم ان هناك أيضاً امراً آخر ، لا بد من ملاحظته ، وذلك ان

للامراض المعدية ادواراً ثلاثة (١) دور الابتداء ﴿ ٢ ﴾ دور التوقف ﴿٣﴾ دور الانحطاط .

وهي أي الأمراض منها ما يعدي في كل ادواره ، ومنها ما يعدي في دور الابتداء فقط ، ومنها ما يعدي في دور الانحطاط . إذاً فلا تحصل العـــدوى مطلقاً .

ويتلخص من هذه المقدمة : ان المرض المعدي لاتحصل منه العدوى إلا إذا كان في دوره المعدي ، مع حصول القابلية ، والفاعلية من الميكروب نفسه ، مع حصول الوقت الكافي لنموه . مع مساعدة البيئة أو الوسط مع ضعف المناعة في بدن السليم ﴿ أي ضعف الكريات البيضاء ﴾ ، اما بغير ذلك فلا عدوى . . .

قال ابن سينا :

ليس كل سبب يصل الى البدن يفعل فيه . بل قد يحتاج مع ذلك الى أمور ثلاثة ﴿١﴾ الى قوة من قوته الفاعلة ﴿٢﴾ وقوة من قوة البدن الاستعدادية ﴿٣﴾ وتمكن من ملاقاة أحدهما للآخر بزمان في مثله يصدر ذلك الفعل عنه ، وقد تختلف أحوال الأسباب عند موجباتها ، فربما كان السبب واحداً . واقتضى في ابدان شتى أمراضاً شتى . او في اوقات شتى امراضاً شتى ! وقد يختلف فعله في الضعيف والقوي . وفي شديد الحس وضعيفه . انتهى

وهنا في المناسب أيضاً ان تعلم ان للامراض المعدية أسباباً مهيئة

اخرى . وهي قسمان . مادية . ومعنوية . وبعبارة اوضح . ظاهرة وكامنة

أما الظاهرة (المادية) فهي مثل فساد الهواء ، وفساد الماء ،والابخرة الردية (المتعفنة) والاماكن الرطبة ، وكثيرة السكان ، وقليلة النور ، وشدة الحرارة والبرودة ، وفساد الطعام ، والمستنقعات ، والحروب ، وشرب الخمور،وارتكاب المعاصي، إلى غير ذلك مما تجعل الجسم مستعداً لقبول العدوى

واما الكامنة (المعنوية) فمثل الوراثة ، والسن ، والجنس ، والمزاج الضعيف ، والجوع والتعب المفرطين ، وقد يكون منها ، الغضب والوهم ، والهم ، والغم والحزن والرعب والخوف والعشق وغيرها .

فان الاحداث ، والأسباب النفسية كثيراً ما تؤثر في حدوث الامراض أو تطورها . وبالاخير انهـــاك القوى التي تجعل الجسم عرضة لـكل عـدوى .

قال جالينوس : الغضب يلهب الامزجة الصفراوية والحارة فيهيء الجسم للحميات الحادة كالحمى العفنية اللازمة . والغم والحزن يفسدان الدم فيكونان علة للحمى التيفوئيدية ، والفزع والرعب يحدثان احياناً رقة الدم . وفقد الكريات الدموية فيكونان سبباً للتيفوس واشباهها (انتهى) مضمون كلام جالينوس .

هذه نبذة وجيزة عن الميكروبات ذكرناها ليتضح لك جيداً ويبدو لك جلياً معنى قول الامام الصادق عليه السلام : لا يكلم الرجل مجذوما إلا وان يكون بينهما قدر ذارع . وبلفظ آخر قدر رمح . فتأمل في قوله (ع)

هذا كيف اشار بكلماته القصار إلى خلاصة ما اكتشفه علم القرن التاسع عشر من الاسرار العجيبة التي افتخر بها كأنه جاء بشيء جديد وقد أبان عنه الامام (ع) قبل ١٤ قرناً .

حديث ابو شاكر (١)

إن هذا الحديث الجليل والكتاب الشريف الذي كتبه الامام الصادق عليه السلام إلى تلميذه المفضل بن عمر الجعفي في اثبات الوحدانية لحديث طويل لا يسعه هذا المختصر ولكنا قد اقتطفنا منه جزءاً يسيراً مما هو محل شاهدنا للاستدلال على كامل معرفته (ع) بالعقاقير ومنافعها واضرارها وأنواعها ومنابتها وطرق استعمالها بما لم يعرفها أطباء عصره ولم يدركها ذووا الفن من المشتغلين بها على انه (ع) كان قد ذكرها طي كلامه عن التوحيد ولم يقصد بيانها مفصلا وهذا مما يوضح لكل منصف عارف ما لدى الامام ﴿ ع ﴾ من العلم الكامل بهذا الفن علماً اخذه عن اجداده عن النبي ﴿ ص ﴾ بالوراثة لا عن تعليم معلم او تدريس أستاذ . واليك ما اقتطفناه منه :

كتب المفضل بن عمر الجعفي إلى ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يعلمه ان اقواماً ظهروا من اهل هذه الملة يجحدون الربوبية ويجادلون على ذلك ويسأله ان يرد على قولهم ليحتج عليهم فيما ادعوا به .

---

(١) البحار ج ٢ ص ٧٥ ط طهران

فكتب أبو عبدالله (ع) اليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد وفقنا الله واياك لطاعته واوجب لنا بذلك رضوانه ورحمته . وصل كتابك تذكر فيه ما ظهر في ملتنا وذلك من قوم من اهل الالحاد بالربوبية قد كثرت عدتهم واشتدت خصومتهم وتسأل ان أصنع للرد عليهم والنقض لما في ايديهم كتابا على نحو ما رددت على غيرهم من أهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النعم السابغة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة إلى ان يقول (ع) . ولعمري ما اتى الجهال من قبل ربهم وانهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات في خلقهم وما يعاينون في ملكوت السماوات والأرض والصنع العجيب المتقن الدال على الصانع ولكنهم قوم فتحوا على انفسهم ابواب المعاصي وسهلوا لها سبيل الشهوات فغلبت الاهواء على قلوبهم واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم وكذلك يطبع الله على قلوب المفسدين .

وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتابا كنت نازعت فيه بعض أهل الاديان من اهل الأفكار وذلك انه :

كان يحضرني طبيب من بلاد الهند وكان لا يزال ينازعني في رأيه ويجادلني عن ضلالته فبينما هو يوما يدق اهليلجة ليخلطها بدواء احتاج اليه من أدويته إذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادعائه أن الدنيا لم تزل ولا تزال شجرة تنبت واخرى تسقط ونفس تولد وأخرى تتلف وزعم ان انتحال المعرفة لله تعالى دعوى لا بينة لي عليها ولا حجة لي

فيها وان ذلك امر اخذه الآخر عن الاول والاصغر عن الاكبر وان الاشياء المختلفة والمؤتلفة والظاهرة والباطنة إنما تعرف بالحواس الخمس . فاخبرني بم تحتج في معرفة ربك الذي تصف قدرته وربوبيته وانما يعرف القلب الاشياء كلها بالدلالات الخمس .

(الى آخر ما يسوقه من اعتراض الطبيب وجواب الامام (ع) من البراهين العقلية والدلائل الحسية التي افحمته حتى جعلته يقر بالربوبية والوحدانية لله تعالى . وقد اعرضنا عنها كلها عدا ما هو الشاهد لنا على اثبات ما للامام الصادق «ع» من معرفة خواص الادوية ومنافع العقاقير ومضارها في عصر لم يدركها غيره حتى الاخصائيين بمعرفتها) .

واليك محل الشاهد من الحديث .

قال الامام (ع) لذلك الطبيب :

فاعطني موثقا اذا انا أعطيتك من قبل هذه الاهليلجة التي بيدك وما تدعي من الطب الذي هو صناعتك وصناعة آبائك واجدادك ومايشابهها من الأدوية لتذعنن للحق ولتتصغن من نفسك . قال : ذلك لك قلت : هل كان الناس على حال وهم لا يعرفون الطب ومنافعه من هذه الاهليلجة واشباهها ؟ قال نعم . قلت : فمن أين اهتدوا ؟ قال بالتجربة والمقايسة قلت : فكيف خطر على اوهامهم حتى هموا بتجربته وكيف ظنوا انه مصلحة للاجساد وهم لايرون فيه إلا المضرة وكيف عزموا على طلب مايعرفون مما لا تدلهم عليه الحواس ؟ قال : بالتجربة . قلت : اخبرني عن واضع هذا

الطب وواصف هذه العقاقير المتفرقة بين المشرق والمغرب هل كان بد من أن يكون الذي وضع ذلك ودل على هذه العقاقير رجل حكيم من أهل هذه البلدان ؟ قال :لا بد أن يكون كذلك وأن يكون رجلا حكيما وضع ذلك وجمع عليه الحكماء فنظروا في ذلك وفكروا فيه بعقولهم . قلت : كأنك تريد الانصاف من نفسك والوفاء بما أعطيت من ميثاقك فاعلمني كيف عرف الحكيم ذلك ؟ وهبه قد عرف ما في بلاده من الدواء والزعفران الذي بارض فارس مثلا أتراه اتبع جميع نبات الارض فذاقه شجرة شجرة حتى ظهر على جميع ذلك ، وهل يدلك عقلك على أن رجالا حكماء قدروا على أن يتبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتى عرفوا ذلك بحواسهم وظهروا على تلك الشجرة التي يكون فيها خلط بعض هذه الادوية التي لم تدرك حواسهم شيئا منها ؟ وهبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبعه جميع بلاد فارس ونباتها ، كيف عرف أنه لا يكون دواء حتى يضم اليه الاهليلج من الهند والمصطكي من الروم والمسك من تبت والدارصين من الصين وخصي بيدستر من الترك والافيون من مصر والصبر من اليمن والبورق من أرمينية وغير ذلك من اخلاط الادوية التي تكون من أطراف الارض ،وكيف عرف ان بعض تلك الأدوية وهي عقاقير مختلفة تكون المنفعة باجتماعها ولا تكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع ، أم كيف اهتدى لمنابت هذه الادوية وهي ألوان مختلفة وعقاقير متباينة في بلدان متفرقة فمنها عروق ومنها لحاء ومنها ورق ومنها ثمر ومنها عصير ومنها مايع ومنها صمغ ومنها دهن

ومنها ما يعصر ويطبخ ومنها ما يعصر ولا يطبخ مما سمي بلغات شتى لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا يصير دواءاً إلا باجتماعها ومنها مرائر السباع والدواب البرية والبحرية ، وأهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرقون باللغات متغالبون بالمناصبة ومتحاربون بالقتل والسبي أفترى من ذلك الحكيم تتبع هذه البلدان حتى عرف كل لغة وطاف كل وجه وتتبع هذه العقاقير مشرقا ومغربا آمنا صحيحا لا يخاف ولا يمرض سليما لا يعطب حيا لا يموت هاديا لا يضل قاصداً لا يجور حافظاً لا ينسى نشيطاً لا يمل حتى عرف وقت أزمنتها ومواضع منابتها مع اختلاطها واختلاف صفاتها وتباين ألوانها وتفرق أسمائها ثم وضع مثالها على شبهها وصفتها ثم وصف كل شجرة بنباتها وورقها وثمرها وريحها وطعمها ، أم هل كان لهذا الحكيم بد من أن يتتبع جميع أشجار الدنيا وبقولها وعروقها شجرة شجرة وورقة ورقة شيئاً فشيئاً ؟ وهبه وقع على الشجرة التي أراد فكيف دلته حواسه على أنها تصلح للدواء والشجر مختلف فمنه الحلو والحامض والمر والمالح ، وإن قلت يستوصف في هذه البلدان ويعمل بالسؤال فانى يسأل عما لم يعاين ولم يدركه بحواسه ، أم كيف يهتدي إلى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلمه بغير لسانه وبغير لغته والاشياء كثيرة .

وهبه فعل فكيف عرف منافعها ومضارها وتسكينها وتهييجها وباردها وحارها ومرارتها وحرافتها ولينها وشديدها فلئن قلت بالظن فان ذلك لا يدرك ولا يعرف بالطبايع والحواس ، وان قلت بالتجربة والشرب فلقد

كان ينبغي له أن يموت في أول ما شرب وجرب تلك الأدوية بجهالته بها وقلة معرفته بمنافعها ومضارها وأكثرها السم القاتل ، وان قلت بل طاف في كل بلد واقام في كل امة يتعلم لغاتهم ويجرب ادويتهم بقتل الأول فالأول منهم ما كان لتبلغ معرفته الدواء الواحد إلا بعد قتل قوم كثير فما كان اهل تلك البلدان الذين قتل منهم ما قتل بتجربته بالذين ينقادون له بالقتل ولا يدعونه يجاوزهم . وهبه تتبع هذا كله واكثره سم قاتل إن زيد على قدره قتل وان نقص عن قدره بطل . وهبه تتبع هذا كله وطاف مشارق الأرض ومغاربها وطال عمره فيها بتتبعه شجرة شجرة وبقعة بقعة كيف كان له تتبع ما لم يدخل في ذلك من مرارة الطير والسباع ودواب البحر ، هل كان بد حيث زعمت ان ذلك الحكيم تتبع عقاقير الدنيا شجرة شجرة حتى جمعها كلها فمنها ما لا يصلح ولا يكون دواءاً إلا بالمرار هل كان بد من ان يتتبع جميع طير الدنيا وسباعها ودوابها دابة دابة وطائراً طائراً يقتلها ويجرب مرارها كما بحث في تلك العقاقير على ما زعمت بالتجارب ولو كان ذلك فكيف بقيت الدواب وتناسلت وليست بمنزلة الشجرة إذا قطعت شجرة نبتت اخرى . وهبه اتى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدواب التي كان ينبغي ان يتتبعها بحراً بحراً ودابة دابة حتى احاط به كما احاط بجميع عقاقير الدنيا التي بحث عنها حتى عرفها فانك مهما جهلت شيئاً من هذا فانك لا تجهل ان دواب البحر كلها تحت الماء ، فهل يدلك العقل والحواس على ان هذا يدرك بالبحث والتجارب ؟ قال لقد ضيقت علي المذاهب فما ادري بماذا اجيبك .

فقلت : سأبرهن لك بغير ذلك مما هو أوضح وأبين مما اقتصصت عليك ألست تعلم ان هذه العقاقير التي منبت الادوية والمزار من الطير والسباع لا يكون دواءاً إلا بعد الاجتماع ؟ قال هو كذلك . قلت: فاخبرني كيف ادركت حواس هذا الحكيم الذي وضع هذه الادوية مثاقيلها وقراريطها فانك أعلم الناس بذلك لأن صناعتك الطب وانت قد تدخل في الدواء الواحد من اللون الواحـــد وزن اربعمائة مثقال ومن الآخر ثلاثة أو اربعة مثاقيل وقراريط فما فوق ذلك او دونه حتى يجيء بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه ،وان سقيت صاحب القولنج اكثر من ذلك استطلق بطنه ،والآن فكيف ادركت حواسه على هذا، أم كيف عرف بحواسه ان الذي يسقى لوجع الرأس لا ينحدر إلى الرجلين والانحدار اهون عليه من الصعود ،والذي يسقى لوجع القدمين لا يصعد إلى الرأس وهو أقرب منه وكذلك كل دواء يسقى صاحبه لكل عضو لا يأخـــذ إلا طريقه في العروق التي تسمى له وكل ذلك يصير إلى المعدة ومنها يتفرق ؟ أم كيف لا يسفل منه ما صعد ولا يصعد منه ما انحدر ؟ أم كيف عرفت الحواس هذا حتى علم ان الذي ينبغي للاذن لا ينفع العين ، وما تنتفع به العين لا يغني من وجع الاذن ، وكذلك جميع الاعضاء يصير كل دواء منها إلى ذلك العضو الذي ينبغي له بعينه فكيف ادركت العقول والحواس هذا وهو غائب في الجوف والعروق واللحم وفوق الجلد لا يدرك بسمع ولا ببصر ولا بشم ولا بلمس ولا بذوق ؟ قال : لقد جئت بما اعرف إلا اننا نقول ان الحكيم

الذي وضع هذه الادوية واخلاطها كان إذا سقى أحداً شيئاً من هذه الادوية فمات شق بطنه وتتبع عروقه ونظر مجاري تلك الادوية وأتى المواضع التي تلك الادوية فيها . قلت فاخبرني ألست تعلم ان الدواء كله إذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئاً واحداً ؟ قال : بلى ، قلت: أما تعلم ان الانسان إذا خرجت نفسه برد دمه وجمد ؟ قال بلى . قلت فكيف عرف ذلك الحكيم دواءه الذي سقاه المريض بعد ان صار عبيطاً ليس بامشاج يستدل عليه بلون فيه غير لون الدم ؟ قال : لقد حملتني على مطية صعبة ما حملت على مثلها قط . ولقد جئت باشياء لا اقدر على ردها إلى آخر الحديث الطويل .

فيمضي الامام عليه السلام في استدلاله على اثبات الوحـــدانية والربوبية من طرق اخرى مفصلة يستدرجها من حديث الاهليلجة التي هي بين يدي الطبيب الهندي ونحن لا حاجة لنا بها في موضوعنا هذا .

ولقد ظهر لنا ولكل ذي انصاف غير مكابر ما لدى الامام عليه السلام من الاطلاع الواسع والمعرفة الكاملة بخواص الادوية ومنافعها ومضارها بل وكل خاصة فيها مفردة ومركبة مع معرفة منابتها وطباعها دون ان يسند ذلك إلى معلم أو طبيب اخذه منهما بل لم يعرفه كل طبيب أو عقعاري في عصره ، أو ليس ذلك علماً الهامياً أو وراثياً عن سلفه الطاهرين والذين خصهم الله تعالى به دون ساير الخلق وجعلهم معدنه ومنبعه لانهم هم الراسخون في العلم وحاملوا اعباء ارشاده وتعاليمه الحكيمة .

وصفاته الطبية (١)

ليس الامام عليه السلام سوى من اختاره الله بلطفه العام على العباد خلفاً عن النبي الكريم (ص) ليرجع الخلق اليه فى جميع مهماتهم ، ويهرع الناس نحوه فى كل حادث لا يرون منه ملجأ إلا لديه ، سواء أكانت تلك المهمة روحية أم بدنية اخروية أم دنيوية ، لانه هوالكفيل بارشادهم الى صالح معادهم ومعاشهم ، لذلك فقد كانوا يردون على الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من كل فج وقطر ليسألوه عن مشكلة فى الدين أو ملمة في الدنيا فيجدون عنده الجواب الكافي والعلاج الشافى ، وكثيراً ما كان الوفاد تستشفي بوصفاته النافعة وتستوصفه فى كل ما يعتريها من الأسقام والأمراض وهو يجيبهم بما يجدون به الشفاء العاجل والنفع الآجل . أجل وكيف لا يكون كذلك ، وهو طبيب النفوس والأرواح وهادي الامة الى الصلاح والاصلاح . وها إني اذكر لك بعض وصفاته الطبية فى علاج ما يسأل عنه من الامراض لتعلم انه عليه السلام الطبيب العالم والامام المرشد . واليك ذلك :

١ — الصداع :

عن سالم بن ابراهيم عن الديلمي عن داود الرقي قال : حضرت

(١) اخذنا اغلب هذه الوصفات من الفصول المهمة للحر العاملى (ره) وتذكر برمتها فى بحار الانوار ج ١٤ ص٥٠٩ - ٥٣٢ .

أبا عبدالله الصادق (ع) وقد جاء خراساني حاج ، فدخل عليه وسلم ، وسأله عن شيء من امر الدين ، فجعل الصادق (ع) يفسر له ثم قال له : يابن رسول الله ، ما زلت شاكيا منذ خرجت من منزلي من وجع الرأس ، فقال له (ع) : قم من ساعتك هذه ، فادخل الحمام ، ولا تبتدأن بشيء ، حتى تصب على رأسك سبعة اكف ماء حار ، وسم الله تعالى في كل مرة فانك لا تشتكي بعد ذلك منه أبداً ففعل ذلك و برىء من ساعته .

٢ — الزكام :

شكا اليه بعض اصحابه الزكام ، فقال (ع) : ضمن من ضمن الله ، وجند من جنوده بعثه الى علتك ليقلعها . فاذا أردت قلعه ، فعليك بوزن دانق شونيز ونصف دانق كندس ، يدق وينفخ في الانف ، فانه يذهب بالزكام ، واذا امكنك أن لا تعالجه بشيء فافعل ، فان فيه منافع كثيرة .

٣ — ضعف البصر :

شكا بعض اصحابه فتاة له ضعف بصرها ، فقال له (ع) : اكحلها بالمر والصبر والكافور اجزاء سواء قال فكحلتها فانتفعت به .

٤ — بياض العين :

في طب الأئمة : شكا الى أبي عبدالله (ع) رجل بياضاً في عينيه فامره أن يأخذ فلفلا ابيض ، ودار فلفل ، من كل واحد درهمين ، ونشادر صافي جيد وزن درهم ، فيسحقها كلها ، ثم ينخلها ويكتحل بها ، في كل

عين ثلاث مراود وأن يصبر عليها ساعة ، فانه يقطع البياض ، وينقي لحم العين ، ويسكن الوجع باذن الله ، ثم يغسل عينيه بالماء البارد ، ثم يتبعه بالاثمد اكتحالا .

٥ — وجع البطن واسهالها :

وجاءه رجل فقال له : يا بن رسول الله ، ان ابنتي ذبلت ، وبها البطن فقال له (ع) : ما يمنعك من الارز مع الشحم ، ثم علمه طريقة طبخه ، ففعل ذلك كما أمره ، فشفيت ابنته به .

٦ — الاسهال :

عن عبدالرحمن بن كثير ، قال : مرضت بالمدينة ، واطلق بطني ، فقال لي ابو عبدالله (ع) وامرني أن آخذ سويق الجاورس ، واشربه بماء السكون ، ففعلت فامسك بطني .

٧ — قراقر البطن مع الالم :

شكا ذريح قراقر في بطنه اليه (ع) فقال له : أتوجعك ؟ قال نعم ، فقال له (ع) : ما يمنعك من الحبة السوداء والعسل ، فاستعمله فنفعه .

٨ — الرياح الموجعة :

كتب جابر بن حسان الصوفي إلى ابي عبدالله ﴿ع﴾ فقال : يا بن رسول الله ، منعتني ريح شابكة شبكت بين قرني إلى قدمي ، فادع الله لي ،

فدعا له ، وكتب اليه : عليك بسعوط العنبر والزئبق ، تعافى انشاء الله ، ففعل ذلك ، فعوفي .

٩ — ضعف البدن :

قال له رجل : إني اجد الضعف في بدني، فقال له ﴿ع﴾: عليك باللبن فانه ينبت اللحم ويشد العظـــم فقال له آخر : إني اكلت لبناً فضرني ، فقال له ﴿ع﴾ :ما ضرك قط ،ولكنك اكلته مع غيره فضرك الذي اكلته معه ، فظننت أن ذلك من اللبن .

١٠ — حمى الربع :

عن عبدالله بن بسطام عن كامل عن محمد بن ابراهيم الجعفي عن ابيه قال : دخلت على ابي عبدالله الصادق ﴿ع﴾ ، فقال لي ﴿ع﴾ مالي اراك شاحب الوجه ؟ قلت ان بي حمى الربع يا سيدي ، فقال ﴿ع﴾: اين انت عن المبارك الطيب ، اسحق السكر ، ثم خذه بالماء وأشربه على الريق عند الحاجة إلى الماء ، قال : ففعلت ذلك ، فما عادت الحمى بعد .

١١ — المبطون مع الالم :

عن خالد بن نجيح قال : شكوت إلى ابي عبدالله﴿ع﴾ وجع بطني فقال لي : خذ الارز فاغسله ثم رضه وخذ منه قدر راحة (راحة اليد) في كل غداء ثم قال: اطعموا المبطون خبز الارز ، فما دخل جوف مبطون شيء انفع منه ، أما إنه يدبغ المعدة ويسل الداء سلا .

١٢ — الوضح والبرص :

شكا رجل ذلك إلى ابي عبدالله (ع) فقال له (ع) : أدخل الحمام ، وخذ معك الحنا بالنورة واطل بهما ، فانك لا تعاين بعد ذلك شيئاً ، قال فوالله ما فعلت ذلك غير مرة واحدة ، حتى عافاني الله تعالى .

١٣ — البلغم الكثير :

قال (ع) : خذ جزءاً من علك الرومي وجزءاً من السكندر وجزءاً من الصعتر وجزءاً من النخواه وجزءاً من الشونيز ، ودق كل واحد على حدة دقاً ناعماً ثم ينخل ويعجن بالعسل ، ويؤخذ منه كل ليلة قدر البندقة فانه نافع انشاء الله .

١٤ — شرة البول :

عن الفضل قال : شكوت إلى ابي عبدالله ، اني القى من البول شدة ، فقال (ع) : خذ من الشونيز آخر الليل فاخذت منه مراراً فعوفيت .

١٥ — قلة الولد :

شكا عمر بن ابي حسنة الجمال اليه (ع) قلة الولد ، فقال له : استغفر الله وكل البيض والبصل ، وعنه (ع) من يتدم الولد فليأكل البيض وليكثر .

(١٦) — ضعف الباه :

في طب الأئمة : قال رجل لأبي عبدالله الصادق (ع) : سيدي إني

اشتري الجواري واحب أن تعلمني شيئاً اتقوى به عليهن ، فقال (ع) : خذ البصل الابيض فقطعه واقله بالزيت ، ثم خذ بيضا وانفذد في قصعة وذر عليه شيئاً من الملح ، ثم اكبه على البصل والزيت ، واقله ، وكل منه . ففعل الرجل . ففعلته ، فكنت لا اريد منهن شيئاً إلا نلته .

إلى كثير غير ذلك مما لا تسعه هذه الرسالة الوجيزة ، وقد اقتصرنا منه على هذا القليل روماً للاختصار ، ولكن من المستحسن ذكر شطر مهم من الادواء التي جاء العلاج لها مرويا عن الامام الصادق (ع) في طب الأئمة والبحار وغيرهما من كتب الاحاديث والأخبار . وهاك نماذج من تلكم الادواء :

١ ـ السعال
٢ ـ السل
٣ ـ وجع الحلق
٤ ـ الزكام
٥ ـ الأرياح
٦ ـ وجع الثانة والحصاة
٧ ـ اوجاع المفاصل
٨ ـ حابس البول
٩ ـ الاسهال
١٠ ـ عرق النسا
١١ ـ الجروح والقروح
١٢ ـ الجدري
١٣ ـ وجع البطن
١٤ ـ وجع الظهر
١٥ ـ البواسير
١٦ ـ طغيان البلغم (الزلال)
١٧ ـ اليبوسة
١٨ ـ كثرة العطش
١٩ ـ السموم
٢٠ ـ الوباء (الكلورا)

obeikandl.com

٢١ ـ الجذام
٢٢ ـ البرص
٢٣ ـ البهق
٢٤ ـ البلة والرطوبة
٢٥ ـ الفالج
٢٦ ـ اللقوة
٢٧ ـ خفقان الفؤاد
٢٨ ـ وجع الطحال والخاصرة
٢٩ ـ ذات الجنب
٣٠ ـ الرمد
٣١ ـ الصداع
٣٢ ـ السبل في العين
٣٣ ـ وجع الرجلين (الروماطيزم)
٣٤ ـ ضعف الباه
٣٥ ـ لدغة العقرب والهوام
٣٦ ـ الحمى
٣٧ ـ وجع الاذن
٣٨ ـ الجنون والصرع
٣٩ ـ علل الفم والاسنان
٤٠ ـ دود البطن
٤١ ـ الزحير (الديزانتري)

وانه ليجد الباحث في غضون التأليف كلمات قيمة ضافية عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) في الأدوية التي وصفها العلاج في الامراض المذكورة وغيرها مما تنم عن تخصصه بالفن وتضلعه فيه. لو جمعت تلك الكلم لتأتى منها كتاب حافل.

واليك جملة تلك الادوية (١)

١ ـ الحبة السوداء
٢ ـ البنفسج
٣ ـ الكمأة
٤ ـ الفلفل الابيض
٥ ـ دار فلفل
٦ ـ النشادر

(١) بحار الانوار ج ١٤ ص ٥٠٩ ـ ٥٣٤

٧ ـ الصبر
٨ ـ الكافور
٩ ـ المر
١٠ ـ الكاشم
١١ ـ الأرز
١٢ ـ السماق
١٣ ـ الكمون
١٤ ـ الجاورس
١٥ ـ السكر
١٦ ـ حسو اللبن
١٧ ـ ابوال اللقاح
١٨ ـ الكندس
١٩ ـ العنبر
٢٠ ـ الزئبق
٢١ ـ الاهليلج الاسود
٢٢ ـ البليلج
٢٣ ـ الآملج
٢٤ ـ الخل
٢٥ ـ الدارصين

٢٦ ـ الزنجبيل
٢٧ ـ الشقاقل
٢٨ ـ الانيسون
٢٩ ـ الخولنجان
٣٠ ـ الوج
٣١ ـ الكراث
٣٢ ـ الجوز
٣٣ ـ الجبن
٣٤ ـ دهن الشيرج
٣٥ ـ الهندباء
٣٦ ـ السنا
٣٧ ـ الزبيب
٣٨ ـ العناب
٣٩ ـ بزر القطونيا
٤٠ ـ الحرمل
٤١ ـ اللبان
٤٢ ـ الأشنان
٤٣ ـ الاهليلج الاصفر
٤٤ ـ الاهليلج الكابلي

٤٥ ـ السكر السليماني
٤٦ ـ البابونج
٤٧ ـ السلق
٤٨ ـ الكرنب
٤٩ ـ الشلجم
٥٠ ـ القرع او الدبا
٥١ ـ الفجل
٥٢ ـ الرجلة
٥٣ ـ الجرجير
٥٤ ـ الخس
٥٥ ـ الكرفس
٥٦ ـ السداب
٥٧ ـ الحزاء
٥٨ ـ الثوم
٥٩ ـ البصل
٦٠ ـ الباقلاء
٦١ ـ الحوك
٦٢ ـ الباذروج
٦٣ ـ الفرفخ

obeikandl.com

٦٤ ـ الجزر	٦٦ ـ عود البلسان وحبه	٦٨ ـ نارمشك
٦٥ ـ الحلبة	٦٧ ـ علك الرومي	٦٩ ـ سليخة مقشرة

اضف إلى ذلك كله ما ورد عنه عليه السلام في الفواكه والحبوب والالبان والادهان والأشربة والاستشفاء بها (١)

وكان ابو عبدالله (ع) لم ير بأساً من العمل الجراحي مهما احتاج علاج المرض اليه . فقد قيل له (ع) الرجل يشرب الدواء ، ويقطع العرق وربما انتفع به ، وربما قتله ، فقال (ع): يقطع ويشرب (٢)

وكذلك كان يرى الاستشفاء بالسموم أيضاً .

قال اسماعيل بن الحسن المتطبب : قلت لابي عبدالله (ع) : إني رجل من العرب ، ولي بصر بالطب ، وطبي طب عربي ، فانا نبط الجرح ونكوي بالنار ، قال (ع) : لا بأس ، قال وقلت له : ونسقي السموم . قال (ع) : لا بأس ، قلت ربما مات . قال (ع) : وإن مات (٣)

أقوال (ع) في خواص بعض النباتات :

لقد اصبح الطب الحديث — كما تشهد به الصحف الطبية والمجلات الصحية والعلمية — يتراجع عند بعض النطس من الأطباء إلى عصر

---

(١) راجع وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٣ ص ٢٨١ - ٣١٢ وراجع مستدرك الوسائل للنوري ج ٣ ص ٩٩ - ١٣٥ وراجع البحار ج ١٤ ص ٥٠٩ - ٨٦٩ (٢) الكافي (٣) مختصر ما رواه الكافي .

الأعشاب والنباتات ، وينظر اليها نظر المقدر لمنافعها الصحية ، والمعتبر لنجاح اثرها الطبيعي في معالجة الادواء المختلفة والأمراض الكثيرة ، كما اصبحت الأطباء في مختلف الظروف والمناسبات تحث مرضاها على استعمالها ، ذلك لما وجدت فيها من بساطة الاستعمال ، ونجاح الأثر ، وعدم الضرر او قلته .

ولا عجب ، فان تقدم الفكر البشري ، والسعي وراء طلب الحقيقة لا بد وان يصلا بالباحث من ذوي العقول السليمة ، والأفكار الصافية إلى كنه بعض ما اودع الخالق الحكيم في تلك النباتات الطبيعية من المنافع والآثار ، التي خلقت هي لاجلها ، ونبتت للاستثمار بها .

فاذا ما غفل اولئك الفطاحل من الأطباء والعلماء عن ذكر فوائدها او ذهل المجربون عن استعمالها في مواضعها طيلة هذه المدة المديدة . فان علماء القرآن وأئمة الدين الحنيف لم يغفلوها ، بل ذكروا من فوائدها وخواصها ، ما ملأ الكتب ، واستفاضت به الأحاديث الصحيحة المروية عنهم . انظر إلى كتاب — طب الأئمة وطب النبي (ص) وطب الرضا وكتاب كشف الاخطار وكتاب البحار وغيرها من الكتب تجد فيها ما يغنيك ، ويغنينا عن الاطالة في هذا المقام .

ولكي لا نخرج عن موضوعنا ، وهو البحث عن طب الامام الصادق (ع) فانا نذكر لك ، بعض اقواله الطبيـــة ، وارشاداته الصحية في النباتات التي لم تدرك الأطباء منافعها إلا بعد ردح من الزمن ، ثم نرجيء باقي اقواله الكثيرة فيها إلى مفصلات الكتب طلباً للاختصار .

وإليك بعضها ، مع ذكر أقوال الأطباء المطابقة لها في هذا العصر نقدم منها كنموذج لما اردناه .

١ — الثوم

قال الامام (ع) : تداووا بالثوم ولكن لا تخرجوا إلى المسجد(١)

وقال (ع) : قال النبي (ص) : كلوا الثوم فانه شفاء من سبعين داء (٢)

كلمة القاها الامام (ع) على اصحابه مرشداً لهم ، ولكن أتراهم عرفوا الادواء التي يشفيها هذا النبات العجيب ، اللهم لا ، حتى كشبا اليوم علم القرن العشرين وأظهر مغزى قوله وما اراد بقوله (ع) ، بعد ان كان مختفياً على الكثير .

فلقد نشرت الصحف الفرنسية مقالا للدكتور « ريم » عربته مجلة الحكمة اللبنانية تحت عنوان « هنيئاً لمن يحب الثوم » جاء فيه :

ويسرك ان تعلم ان علماء الطب ، قد اعادوا الآن إلى هذا النبات مكانه اللائق به في « الفارما كوبيا » الحديث . وذكروا ، ان العمال الذين شادوا هرم خوفو سنة ٤٥٠٠ ق م كانوا يكثرون من أكل الثوم ، لتقوية ابدانهم ووقايتهم من الأمراض . . وجاء في محل آخر من المجلة قوله :

وقد أظهرت تجارب الأطباء المشهورين مثل « سالين » و « بيروت »

---

(١) البحار ج ١٤ (٢) البحار ج ٢٤ .

و « لوثر » و « دوبريه » وغيرهم : ان الثوم يذيب البلاورات التي تتجمع في البنية فتسبب تصلب الشرائين ، ويخفض ضغط الدم في الشرائين أيضاً . وعلى هذا فقد أصبح الثوم خيرما يوصف لتصلبها ، وضغط الدم العالي. انتهى

وبالجملة فقد ثبت في الطب الحـــديث : ان الثوم منشط للعضلات القلبية ، وبهذا التنشيط تنتظم الدورة الدموية ، وهو منق فعال للدم ، وبهذا النقاء يتغلب البدن على أمراض فساد الدم ، كعسر الحيض عند النساء ، وكالشيخوخة المبكرة والبواسير ، والروماطيسم ، وهو مطهر للمسالك التنفسية والشعبية ، وبهذا التطهير يفيد الربو « ضيق النفس » ويشفي بعض انواع السل الرئوي ، لا سيما إذا كان الثوم ممزوجاً مع اللبن ، وذلك لتأثيره على ميكروب « كوخ » سبب السل المباشر . وهو موجد للمناعة في البدن ضد كثير من الامراض مثل الأنفلوانزا ، وحمى الضنك ، وغيرهما . وهو محسن للون البشرة ، ومحمر للوجه ، ومطهر للأمعاء من التعفنات لاسيما في الأطفال ، وبذلك يكون واقياً من الاصابة بالتيفوئيد ومفيداً للخناق « ديفتريا » ، ومسكناً للسعال الديكي ، إلى غير ذلك .

وقد قيل : ان البلاد التي يكثر فيها استعمال الثوم لا بد وان تطول اعمار اهلها ، وان يتمتعوا بصحة جيدة .

مضافا إلى ما فيه من تطهير التعفنات الداخلية ، والالتهابات المعوية والقروح المعدية ، مزمنة كانت او حادة ، كما انه يدر الحيض والبول وينفع الحصى في الكلى ، والديدان الخيطية في الأطفال .

هذا بعض ما وقفنا عليه مما وصل اليه الأطباء من فوائد هذا النبات النافع وقد ارجأنا معرفة باقي السبعين داءاً المشار اليها في الحديث إلى مفصلات الكتب الطبية ، فانظر إلى جوامع كلم الامام « ع » الطبية وما اشار اليه وهو في عصر لا يمكن ان يدرك اهاوه ما ادركه أهل هذا العصر بعد حدوث الوسائل ونمو العقل البشري بالتجارب واتساع العلوم .

— البصل :

قال ابو عبدالله (ع) : كل البصل فان له ثلاث خصال يطيب النكهة ويشد اللثة ويزيد في الماء والجماع (١)

وقال (ع) ايضاً : البصل يطيب النكهة ويشد الظهر ويرق البشرة (٢)

وقال (ع) ايضاً : البصل يذهب بالنصب ويشد العصب ويزيد في الخطا ويزيد في الماء ويذهب بالحمى (٣)

هذا قول الامام الصادق (ع) منذ القرن الثاني للهجرة وقبل اكتشاف منافعه في الطب بل يوم كان ولم ينظر اليه بعين الاعتبار ، اما اليوم وقد اخذت التجارب تحوم حول هذه النباتات الطبيعية لتدرك ما اودع فيها من الاسرار والمنافع ، فقد تمكن الدكتور الافرنسي (٤) (لاكوفسكي) بعد الاختبارات العديدة من تقرير فوائد البصل النيء مثل استخراج مصل خاص منه لمكافحة داء السرطان ، ذلك الداء الذي مازال

---

(١) الفصول المهمة للحر العاملي ١٣٧ (٢) الفصول المهمة ١٣٧
(٣) كشف الاخطار (٤) مجلة الحكمة البيروتية .

سراً من الاسرار ، والذي اتعب العلماء كثيراً في اكتشاف ميكروبه ،

قال الدكتور (لاكوفسكي) : ما زلنا نواصل التجارب ، ونأمل أن يصبح البصل الشيء في المستقبل من اهم العلاجات الطبيعية لطائفة من الميكروبات .

وقال الدكتور (دامر) : البصل طعام ودواء في وقت واحد ويستعمله الاطباء لاستدرار البول وامراض الكلى وللاستسقاء ويفضل اكله نيئاً .

وقال دكتور آخر : إن البصل يحتوي على مادة لها قيمتها الطبية في تخفيف الآلام في الانف والحلق ، ومجاري التنفس ، الى غير ذلك .

هذا ما وصل اليه الطب الحديث من منافع البصل والمستقبل كفيل بمعرفة باقي ما ذكره الامام منها ، فتأمل وانصف في حكمك على معرفته الطبية وانها مستقاة من آبائه واجداده عن الوحي .

٣ — الفجل

قالت الاطباء في خواص هذا النبات : انه مفرز للبول ، منبه للمعدة على الطعام ، ومقو لها ، ومنبه لعصارتها ، ومسهل للهضم ، ويعالج به الروماتيسم ، وهو ملطف ومحلل للارياح ﴿ الغازات ﴾ وقد يولدها ، ومطهر للصدر ، ومشهي للطعام ، وشاف للسعال مسلوقا ، ومفتت لحصى الكبد ومخرج للبلغم .

وقد قال الامام (ع) قبل اثنى عشر قرناً :

كل الفجل فان فيه ثلاث خصال ، ورقه يطرد الرياح ، وانه يسهل البول ويهضم ، واصوله تقطع البلغم (١)

٤ — الجزر :

قالت الأطباء في خواصه : الجزر يحتوي على مقدار من السكر النباتي وهو سريع التمثل ،عسر الهضم في معد الأطفال يفيد عصيره اليرقان ويكون مع العسل مقويا للباه، وكذلك يفيد في علاج الكبد والامعاء ويوصف للمصابين بضيق الصدر ، ومرض الاعصاب، ويساعد في نمو اجسام الاطفال ، ويزيل الرمل ، ويقضي على الديدان اذا اكل غير مطبوخ ويزيد الدم وينشطه في البدن، الى غير ذلك من الخواص التي أدركها الطب اليوم ونصحت به الاطباء .

وقد قال الامام الصادق (ع) في حديث روي عنه (ع) :

الجزر امان من القولنج ، ومفيد البواسير ، ومعين على الجماع (٢)

اكل الجزر يسخن الكليتين ويقيم الذكر (٣)

٥ — الباذنجان :

قالت الأطباء في منافعه وخواصه : الباذنجان غذاء ملائم لاكثر الامراض ، فهو مقو للمعدة ، وملين للصلابات ، ومع الخل مدر للبول ومطبوخه ينفع الطحال والمرة السوداء .

---

(١) الكافي لثقة الاسلام الكليني (٢) الفصول المهمة

(٣) كشف الاخطار .

وقال الامام أبو عبدالله «ع» :

كلوا الباذنجان ، فانه جيد للمرة السوداء ، ولا يضر الصفراء (١)

كلوا الباذنجان ، فانه يذهب الداء ولا داء له (٢) .

٦ — القرع — (الدبا)

قالت الاطباء فيـــه : الدبا أو القرع وهو اليقطين ايضاً : مبرد ومرطب للدماغ ، ومفتح للسدد ، ومدر للبول وملين للعدة لا سيما معدة المحمورين ومفيد لليرقان والحميات الحارة ، ويستعمل كثيراً لذوي الارق الشديد ، واما الذين تعدوا منتصف العمر وانحطت قواهم وعقولهم فعليهم بان يكثروا من اكل القرع فان فيه مزايا خاصة لتجدد القوة والانسجة .

وقال الامام جعفر بن محمد «ع» : الدبا يزيد في العقل والدماغ ، وهو جيد لوجع القولنج (٣) .

افراد «ع» فى بعض الفواكه والخضر

يؤكد العلم ان للفواكه والخضراوات تأثيراً خاصاً في سير بعض الامراض بل اكثرها لذلك ترى اكثر الاطباء ينصح بالاكثار من اكلها لا سيما المصابين بالرئة والنقرس واشباههما ومما لا شك فيه أن تأثير الثمار في الجسم البشري كسواها من أنواع الغذاء اعني ان ذلك تابع لتركيبها الكيماوي ونسبة المواد الحمضية والسكرية والآزوتية الموجودة فيها . لذلك ترى ان البعض منها هاضما والبعض الآخر ملينا وقسما مدراً ورابعاً مقوياً

(١) كشف الاخطار (٢) كشف الاخطار (٣) كشف الاخطار

الى غير ذلك من الخواص والتأثيرات في الأبدان .

ثم ليعلم أن اهم ما يلحظه علم حفظ الصحة فيها ويأمر به الاطباء مرضاهم في ارشاداتهم الصحية قبل ملاحظة خواصها ومنافعها ، هو تنظيفها وغسلها مما لصق بها من الخارج ، كالغبار ، والتراب ، وما علق بايدي الفلاحين ، والباعة ، من كل ما يحمل الجراثيم الخارجية ، فانه إذا اكلها الانسان غير مطهرة بالماء دخلت البدن وهي حاملة لتلك الجراثيم واستوطنت المعدة ، فيحدث عند ذلك ما كان يحاذر منه ، من فتك الميكروب في الجسم وعلى هذا ، ترى الاطباء لا زالوا ينصحون مرضاهم ومن استشارهم بغسل كل فاكهة قبل اكلها ، ويحذرونهم من اكلها قبل الغسل .

وقد أمر الامام الصادق عليه السلام بذلك قبل أن يدرك الطب ذلك وقبل أن يلتفت اليه اي معالج وطبيب . حيث يقول (ع) :

إن لكل ثمرة سما ، فاذا اتيتم بها فامسوها الماء ، واغمسوها فيه (١)

واليك بعض تلك الفواكه والخضر على سبيل المثال إذ لم يمكن بيان كل ما ورد عنه «ع» في مثل هذا الكتيب الصغير .

١ — العنب

قال الامام (ع) : العنب (الزبيب الطائفي خ ل) يشد العصب ، ويذهب النصب ، ويطيب النفس (٢)

وقال (ع) : شكا نبي من الانبياء إلى الله الغم فأمره بأكل العنب

---

(١) طب الائمة وكشف الاخطار وغيرهما (٢) كشف الاخطار

وفي لفظ ان نوحا شكا إلى الله الغم فاوحى الله اليه ان كل العنب (١)

وقال الأطباء : إن العنب فعلا ثلاثيا ، فهو مسهل للعدة ، ومنق للدم ومغذ للبدن وعصيره مجدد للقوى ومنبه للدورة الدموية ومفيد للتخمرات المعدية ، ونافع في مداواة الكبد والكليتين ، ويشفي من داء الحميات ، وان المداواة به تفيد في الدسبيسيا (سوء الهضم) والنقرس وأمراض القلب والصفراء والريح والبواسير ، ويخفف من وطأة السل والسرطان ، وفيه من الفيتامينات أ ـ بي ـ سي .

وتقول علماء الطب الكيماوي : انه ينشط عصارة البيسين في المعدة وينفع الطحال واحتقان النخاع ، وفيه شيء من الأرسنيك (مستحضر من سم الفأر) به يجمل الوجه والبشرة ، وعلى هذا قد يفيد المصابين بالزهري « السفلس » والسل والسرطان .

فتأمل كلمات الامام (ع) على اختصارها ، تراها تشير إلى اكثر هذه المنافع التي ادركتها الأطباء فان شد العصب وذهاب النصب وطيب النفس نتاج اكثرها .

٢ — التفاح

قال الامام (ع) : كل التفاح فانه يطفي الحرارة ، ويبرد الجوف ، ويذهب الحمى (٢)

وقال (ع) : لو علم الناس ما في التفاح ما داووا مرضاهم إلا به ،

---

(١) وسائل الشيعة ص ٢٩٩ (٢) الوسائل ج ٣ ص ٣٠

إلا انه أسرع شيء منفعة للفؤاد خاصة ، فانه يفرحه (١)

وقال (ع) : اطعموا محمومكم التفاح فما شيء انفع من التفاح (٢)

هذا ما ذكره الامام (ع) عنه في كلمته القصار الجامعة لكل ما اطراد الأطباء .

قال الأطباء فيه : التفاح مفرح ومقو للقلب والدماغ والكبد أكلا وشما وهو مفيد للخفقان والربو « ضيق النفس » ومصلح لضعف فم المعدة ومنبه لشهوة الطعام ، ومطبوخه مصلح للسعال ، وهو مخفف لأمراض الجلد وجالب للنعاس .

السرطان

قال الامام (ع) : اطعموا صبيانكم الرمان فانه اسرع لشبابهم (٣)

وقال (ع) : كلوا الرمان بشحمه فانه يدبغ المعدة ، ويزيد في الذهن (٤)

وقال الأطباء : الرمان مصفٍ للدم ، ومولد للخلط الصالح ومنعظ المحرورين ، ومفتح للسدد ، وملين للبطن ، ومدر للبول ، ومقو للكبد ومفيد لليرقان والطحال ، وخفقان القلب ، والسعال الحاد ، وهو مصفٍ للصوت ، ومحسن لرونق الوجه ، ويروى به البدن ، وينفع من الديدان .

أنظر إلى كلمة (اسرع لشبابهم) تجد جل هذه الخواص التي ذكرها

---

(١) كشف الاخطار (٢) الكافي للكليني (٣) الوسائل (٥) الكافي للكليني

الاطباء موجودة فيها إذ لا ينتزع شبابهم إلا إذا صفى الدم وتولد الخلط الصالح وقوي الكبد وازداد رونق الوجه وحصل نزواء البدن ، ثم انظر أيضاً إلى قوله ﴿ع﴾ يدبغ المعدة ، فان المعدة إذا دبغت قويت على الهضم ، والغذاء إذا هضم جيداً اولد الدم الصالح وإذا صلح الدم صلح البدن وإذا صلح البدن زالت عنه كل ما ذكرة الاطباء من الأمراض فيالها من كلمة جامعة لا يفهمها أهل ذلك العصر ويدرك مغازيها العلم الحديث .

٤ — السفرجل

قال فيه الامام الصادق ﴿ع﴾ : السفرجل يحسن الوجه ، ويجم الفؤاد (١)

وقال ﴿ع﴾ : من أكل سفرجلة على الريق طاب ماؤه وحسن ولده (٢)

قال ﴿ع﴾ : اكل السفرجل قوة للقلب ، وذكاء للفؤاد (٣)

هكذا وصفه الامام ﴿ع﴾ وهو لعمري لا يعدو أقوال الأطباء بعد التجارب والتحقيق العلمي والعملي :

قال الأطباء : السفرجل يحسن الوجه ، وهو مفرح ومقو القلب والدماغ والمعدة ، ومسر للروح الحيوانية والنفسانية ومنعش لكثير من الاعضاء كالكلية والمثانة لذلك يدر البول ويلين المعدة ويخفف من الآمها

---

(١) (٢) (٣) الوسائل ٣٠١ .

٥ — التين

قال ابو عبدالله (ع) : إن التين يذهب بالبخر ويشد العظم ، وينبت الشعر ويذهب بالداء ، ولا يحتاج إلى دواء (١)

ذكر الامام (ع) أكثر خواص هذه الفاكهة على مقدار ادراك سائليه ولكن العلم والتجارب أثبتتها وادركت غيرها

قال الأطباء : إن التين هو الثمر المحتوي على العناصر المغذية والمادة السكرية التي تفيد الجسم فائدة جلى ، فهو يحسن الهضم وينظم الافراز ويقوي الجسم وينضر الوجه وينشط العضلات . وإذا أخذ ليلا نظم حركات الامعاء واكسب الجسم صحة ونشاطاً ، وبالجملة فهو لذة وغذاء وضحة وقيل إنه يفيد في علاج الكبد ، وفساد الدم ، ويوصف لدائي السل والسرطان .

٦ — التمر

قال الامام جعفر بن محمد (ع) ، وقد وضع بين يديه طبق فيه تمر ما هذا ؟ فقيل له : البرني فقال : إن فيه شفاء (٢)

وقال (ع) : إن فيه شفاء من السم ، وإنه لا داء فيه ولا غائلة ، وان من أكل سبع تمرات عجوة عند منامه قتلت الديدان في بطنه(٣)

أراد الامام (ع) ان يحث الناس على اكله بقوله فيه شفاء ، وبقوله لاداء فيه ولا غائلة ، دون ان يفصل منافعه وخواصه لما فيه من كثرة الفوائد

(١) الكافي للكليني (٢) الكافي (٣) الكافي لثقة الاسلام للكليني

التي لا يستغنى عنها ، ولكن العلم أظهر خواصه وصرح بها بعده إذ

قال الاطباء : إن فى التمر فوائد طبية كثيرة فهو يسخن البدن ويخصبه ويولد دماً غليظاً ، وان نقع فى الحليب نفع من ضعف الباه ومغليه، يفيد في الآفات الالتهابية ، والسعال اليابس ، وللالتهابات الرئوية وتهيجات الطرق البولية ، اما البسر فهو نافع فى نفث الدم والاسهال واصلاح اللثة ، إلى غيرها من المنافع ، وقيل إنه نافع للسرطان أيضاً ذلك لما يحتوي عليه من مادة (الماغنيزيوم) التي لها العلاقة الوثيقة مع السرطان ، ولقد ثبت لدى المتتبعين ان اهالي الاراضي التى تزرع التمر بكثرة تكون قليلة الاصابة بهذا المرض ، وسوف يظهر مستقبل الطب أكثر من هذه الخواص لهذا الثمر النافع الطيب حتى يعلم مغزى كلمة الامام (ع) في قوله فيه : « فيه شفاء ولا داء فيه » التي تشير إلى كثرة فوائده وخواصه ، فيا لها من كلمة جامعة .

٨ — الخس

قال ابو عبدالله (ع) : عليكم بالخس فانه يصفي الدم (١)

وقال الاطباء : إن الخس لغني بانواع الفيتامينات ، وفيه كمية كبيرة من الاملاح المعدنية ، بشرط ان يؤكل منه ما كان عرضه على الشمس أكثر ، لا ما اختبأ داخله .

وقال الكيماوي « نيومان » : الخس بوفرة غناه بالحديد ، يزيد كريات الدم الحمراء فيزيد الاحمرار فى خدود آكليه وشفاههم ، ويهدىء

(١) رواه ثقة الاسلام الكليني فى الكافي

الاعصاب ويجلب النعاس ويولي العينين بريقاً ويزيد في لون الشعر وكله من تنقية الدم . فتأمل في كلمته الجامعة سلام الله عليه .

٧ — الهندباء

عن ابي عبدالله (ع) : نعم البقلة الهندباء (١)

وعنه أيضاً (ع) : عليك بالهندباء فانه يزيد في الماء ويحسن الولد (٢)

وعنه أيضاً (ع) : من بات وفي جوفه سبع طاقات من الهندباء أمن من القولنج ليلته (٣)

وقال الاطباء : إن الهندباء تفيد في ضعف الاعصاب ، وضعف البصر وفساد الدم ، وانها ترد قوى الاجسام بعد الضعف والهزال ، وتنشط القلب والكبد والكليتين ، وتنفع الرحم في تعديل مزاجه وتنقيته ، وتقضي على الحميات .

يا لله ما ابلغ كلمة الامام (ع) وما اجمعها لجل تلك الخواص التي عرفها الأطباء وذكرتها بعد تلك المدة غير القصيرة . تأمل تجد أن في كلمة ـ يزيد في الماء ويحسن الولد ـ خاصتين وفائدتين لم تحصلا إلا بعد تعديل مزاج الرحم وتنقيته ، وبعد أن يقوى القلب والعصب وبعد أن تعود قوى الأجسام بعد الضعف والهزال فكأنه (ع) كان قد ذكر جميع تلك الآثار بذكر نتائجها من الزيادة في الماء وتحسين الولد .

الى هنا نكتفي بهذا النزر القليل مما ورد عن الامام ابي عبدالله

(١ ـ ٢ ـ ٣) في البحار ج ١٤

عليه السلام من الخواص والمنافع التي ذكرها الفواكه والخضر كنموذج لبيان وفور علمه وجزيل معرفته بهذا العلم الجليل . إذ لو أردنا سرد جميع ما عثرنا عليه فضلا عما لم نعثر عليه في الكتب والمجاميع لضاق بنا هذا المختصر . على أن الباحث مهما راجع كتاب الاطعمة والاشربة من فقه الامامية ، وامعن النظر فيه ، وفيما فيه من الآداب الجمة الواردة في الاكل والشرب ، قبلهما وحينهما وبعدهما ، وما جاء من البحث في وقتهما ، وبيان اقسام المأكولات والمشروبات ومضارهما وفوائدهما ، والتفصيل الوارد في اللحوم والحبوب والفواكه والالبان والادهان وغيرها ، ليجد هناك علماً جماً ، وابحاثاً ضافية قيمة في الطب مما يجعلك مذعناً خاضعاً بان الامام الصادق عليه السلام ، في مقدم المتخصصين بعلم الابدان ، قبل علم الشرايع والاديان ، ويخبت (١) الى انه صلوات الله عليه هو الحافل بعبئه الثقيل ، وعنده بجدته وهو ابن بجدته (٢) وبيده عقدته وهو ابن عذره (٣) وهو العالم الوحيد بحقائقه ودقائقه وعنده قذاذاته وجذاذاته(٤) . فكما هو المصدر والمورد في العلوم الدينية ، كذلك تنتهي اليه تلكم الدروس العالية في علم الابدان .

---

(١) يطمئن ويخضع (٢) يقال ذلك للعالم بالامر . والبجدة باطن الامر وحقيقته (٣) يقال لمن بيده الحل والعقد ، وللعالم بكل جزئيات المسالة (القذاذات القطع الصغار تتساقط من الذهب ، والجذاذات قطع الفضة ، ويراد منه الاحاطة بكل جزئيات الامر ودقائقه .

من كلمات الخالدة في الطب :

إن للامام ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من الكلمات الطيبة الخالدة والآراء القيمة الحكيمة ما لو نظر بها وعمل عليها لصلحت ان تكون اسساً ثابتة عامة تقوم عليها دعائم الطب ، وار كان حفظ الصحة في كل عصر ومصر ولكل جيل من الاجيال فلعمري انها الكلم القصار التي قصرت عن فهم كنه مراميها نطس الاطباء وفحول العلماء اللهم إلا بعد مرور العصور وتعاقب الاجيال وتقدم العقل البشري ، وكثرة التجارب العلمية الواسعة .

واليك فيما يلي بعض ما عثرنا عليه من تلكم الكلم الطيب نقدمها كشاهد عدل على ما نقول :

قال الامام ابو عبدالله (ع) كان يطبيب يسمى المعالج فقال موسى ابن عمران (ع) يا رب ممن الداء؟ قال مني قال (ع) : وممن الدواء؟ قال : مني . قال : فما يصنع الناس بالمعالج ؟ قال : يطيب بذلك انفسهم . فسمي المعالج طبيباً لذلك (١) .

وقال (ع) : اجتنب الدواء ما احتمل بدنك الداء (٢) .

وقال (ع) : من ظهرت صحته على سقمه فعالج نفسه بشيء فمات فانا إلى الله منه بريء ، وفي لفظ ، فقد اعان على نفسه (٣) .

---

(١) البحار ج ١٤ (٢) الفصول المهمة (٣) الفصول المهمة ، وقد ورد هذا المعنى في غير واحد من احاديث اهل البيت . والمراد سحق الادواء بالطبيعة مهما تمكنت منه وعدم تعديل المزاج بالعلاج .

وقال (ع) غسل الاناء ، وكسح الفناء مجلبة للرزق (١) .

وقال (ع) : اقلل من شرب الماء فانه يمد كل داء (٢) .

وقال الامام (ع) : ينبغي للشيخ الكبير ان لا ينام إلا وجوفه ممتلىء من الطعام فانه اهدأ لنومه وأطيب لنكهته (٣) .

وقال (ع) لعنوان البصري : إياك وأن تأكل مالا تشتهيه ، فانه يورث الحماقة والبله ، ولا تأكل إلا عند الجوع ، وإذا أكلت فكل حلالا ، وسم بالله واذكر حديث رسول الله : ما ملاء آدمي وعاء شراً من بطنه ، فاذا كان ولا بد فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لنفسه (٤)

وقال (ع) : كل داء من التخمة إلا الحمى ، فانها ترد وروداً (٥)

وقال (ع) : إن عامة هذه الارواح (جمع ريح) من المرة الغالبة أو الدم المحترق او البلغم الغالب ، فليشغل الرجل بمراعاة نفسه ، قبل أن يغلب عليه شيء من هذه الطبايع فيهلكه (٦) .

وقال (ع) : إن المشي للمريض نكس (٧) .

اقول : وفي هذا الحديث الشريف حث وتأكيد على الراحة المطلوبة

---

(١) كتاب الاثنى عشرية . والظاهر ان القصة من هذا الحديث هو الحث على النظافة والكسح هو الكنس والفناء ساحة الدار (٢) كشف الاخطار (٣) كشف الاخطار (٤) البحار ١ - ١٦٩ وفي الكنى والالقاب للقمي في ترجمة البصري (٥) رواه البرقي في المحاسن (٦) البحار ج ١٤ ص ٥٤٦ (٧) الكافي .

العريض مطلقاً كما عليه جل اطباء هذا العصر بل كلهم .

وقال ﴿ع﴾ : لو اقتصد الناس في المطعم لاستقامت ابدانهم (١)

وقال ﴿ع﴾ : النوم راحة الجسد ، والنطق راحة الروح ، والسكوت راحة العقل (٢) .

وقال ﴿ع﴾ : ليس فيما اصلح البدن اسراف ، انما الاسراف فيما اتلف المال وأضر البدن (٣)

وقال ﴿ع﴾ : الدواء اربعة ، الحجامة والطلاء والقي والحقنة (٤)

وقال ﴿ع﴾ : لا تدخل الحمام إلا وفي جوفك شيء يطفي عنك وهج المعدة وهو أقوى للبدن ، ولا تدخل وانت ممتلىء من الطعام (٥)

وقال ﴿ع﴾ : الاستلقاء بعد الشبع يسمن البدن ويمرىء الطعام ، ويسل الداء (٦) .

وقال ﴿ع﴾ وقيل عن الرضا ﴿ع﴾ :لا تقربوا النساء من اول الليل صيفاً أو شتاء ، وذلك لان المعدة والعروق تكون ممتلية ، وهو غير محمود إذ يتولد منه القولنج والفالج ، واللقوة ، والنقرس ، والحصاة ، أو تقطير البول او الفتق أو ضعف البصر . فان اردت ذلك فليكن في آخر الليل فانه أصح للبدن ، وارخى للولد ، واذكى للعقل فى الولد ، ولا تجامع امرأة حتى تلاعبها ، وتكثر مداعبتها ، وتغمز ثديها ، فانك إذا فعلت ذلك

---

(١) الفصول المهمة (٢) مجالس الصدوق (٣) الفصول المهمة (٤) الفصول المهمة (٥) الفصول المهمة (٦) بحار الانوار .

غلبت شهوتها ، واجتمع ماءهما ، لان ماءهما يخرج من ثديها والشهوة تظهر في وجهها وعينيها ، ثم اشتهت منك مثل الذي تشتهيه منها ، ولا تجامع امرأة إلا وهي طاهرة ، فاذا فعلت ذلك فلا تقم قائماً ولا تجلس جالساً . ولكن تميل على يمينك . ثم انهض للبول اذا فرغت من ساعتك فانك تأمن من الحصاة . ثم اغتسل (١) .

وقال (ع) : إن للدم وهيجانه ثلاث علامات : البثرة في الجسد والحكة في الجلد ودبيب الدواب (ما يتخيله الانسان كدبيب النمل في بدنه) (٢) .

وقال (ع) : الحمى تخرج في ثلاث ، في العرق ، والبطن ، والقي .

وقال (ع) : خير ما تداويتم به الحجامة والطلي والحمام والحقنة .

وقال (ع) : اغسلوا ايديكم قبل الطعام وبعده فانه ينفي الفقر ويزيد في العمر . أقول : بهذا أمر الامام الصادق أصحابه وتابعيه ، وعلى العمل به حثهم مشوقاً إياهم بقوله (ع) ـ إنه ينفي الفقر ويزيد في العمر ـ ومعلوم ان نفي الفقر واطالة العمر هما من نتاج الصحة الحاصلة من غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، وقد اثبت الطب وحكمت التجارب العلمية والعملية الكثيرة ان عدم غسلهما مما يوجب الأمراض المختلفة التي قد ينتهي بعضها بالموت او الفقر المحتم ، ذلك لأن اليد الملوثة بميكروبات الأمراض بواسطة لمس الأجسام الخارجية إذا ما لمسنا بها الطعام ولم نغسلها ثم أكلناه ملوثاً انتقل

(١) البحار وغيرها (٢) هذا الحديث وما بعده عن البحار ج ١٤ .

الميكروب إلى الفم ومنه إلى المعدة ومن المعدة إلى الكبد والقلب ثم سائر أنحاء البدن ، ومن البديهي ان الميكروب يفتك اين ما وجد مجالا للفتك أو محلا مستعداً لقبول تمود وتفريخه وبالأخير الفتك به والاضرار بجميع البدن .

فاذا مرض الانسان بسبب هذا الميكروب المنتقل إلى البدن بواسطة اليد الملوثة لا شك انه يخسر ماله بالمداواة وعمره باستفحال ذلك المرض اما إذا التزم بغسل اليدين ولم يجعل مجالا لدخول الميكروب إلى جسمه اكتسب الصحة ولم يخسر ماله فينفى عنه الفقر ولا عمره فتطول حياته . وهذا هو المقصود من قول الامام (ع) انه ينفي الفقر ويزيد في العمر .

وإنما شرحت هذه الكلمة دون غيرها ولو على وجه الاجمال فليس لان غيرها لا تحتاج إلى بيان او تفصيل « وإن احتاج شرح الجميع إلى مجلد ضخم » ولكن لأبين لك ان الامام (ع) كان يجمل في القول ويشير في أكثر كلمه القيم إلى أفيد الخواص وانفع ما يمكن ان يدركه السامع يومئذ وكأنه كان يلاحظ على الدوام حال المستمع وقابلية السامع ، وينظر إلى القول المشهور — كلم الناس على قدر عقولهم — حرصاً على الفائدة ، وطالباً للنفع العام على ان كلامه (ع) كان بعيد المرمى ، عظيم المغزى ، يدركه كل عقل على حسب تقدمه وتدرجه ، لذلك ترى في هذا العصر وقد اكتمل العقل ، أخذ يدرك منه ما لم تكن تدركه العقول الماضية ، وهذا وأيم الحق هو الكلام الملهم ، والعلم السماوي الذي علمهم إياه جدهم النبي الأمين عن جبرائيل عن الله تعالى وما ابلغ قول من قال .

وتابع اناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

الصادق (ع) والطب الروحي

كما ان الأجسام تمرض، فتفقد صحتها، وتحتاج إلى العلاج بما يعدل انحرافها ويعيد اليها صحتها المفقودة، كذلك الأرواح والنفوس، فانها تمرض بانحرافها إلى الرذائل والصفات الذميمة، فتحتاج عند ذلك إلى العلاج بما يقوم اودها ليرجعها سيرتها الأولى من صحة الاتصاف بالاخلاق الفاضلة والصفات الحميدة.

وبعبارة أوضح ان الارواح والنفوس إذا تغلبت عليها الرذائل من الصفات، وتسيطرت عليها الشهوات الحيوانية والعواطف الدنيئة انحرفت صحتها، وفقدت رونقها الروحي وميزتها النفسية التي بها امتازت عن الجسمية الكثيفة، وعدمت شفافيتها ولطافتها التي كانت عليها حال صحتها يوم كانت سليمة.

ولقد عالج الحكماء والفلاسفة، تلك الأدواء النفسية، والاسقام الروحية بانواع العلاجات، منذ العصور الغابرة حتى اليوم، ووضع علماء النفس واساتذة التربية، احكم القوانين واتقن النظم والقواعد لاصلاحها فلم يفلحوا إذ لم يجدوا لها علاجاً حاسماً، ولم يعثروا على دواء ناجع لعلاجها سوى الدين السماوي الذي هبط على الانبياء والرسل، ليرفع هذه الانسانية من حضيض الرذائل والجهل إلى مرتفع الفضائل والعرفان والذي جاء لاسعاد هذا الخلق

كيما يعيشوا بسلام وهناء ، وليبلج في الأرض صبح الرشاد ، فتزهو مخضرة الجوانب برياض النعيم ما دام الناس يعملون بقوانينه ويتبعون سبل تعاليمه وارشاداته . فما من طبيب أدرى بأدواء النفوس من باريء النفوس ولا حكيم أدرى باسقام الأرواح كالدين ، ولا عالم اعرف بطرق علاجها وأسباب شفائها كالشارع المقدس .

إذاً فان للدين أثره الفعال في تطبيبهما ، وان له لمعاجز باهرة في اصلاحهما ، تفوق معاجز الطب الفنية في مداواة الاجسام ،

فما أشبه الدين بالسحر ، لولا ان الدين خير كله ، والسحر شر كله . وما أشبه مبلغيه بنطس الأطباء الذين عرفوا الداء والدواء ، فارجعوا الامزجة المنحرفة إلى صحتها واعتدالها .

فلقد جاء الدين الاسلامي الحنيف بالاخلاق الفاضلة ، حفظاً لصحة النفوس البشرية ، وأمر متبعيه بالعمل عليها وقاية لأرواحهم ونفوسهم من شرورها ، كما ان النبوة الكبرى قد تكفلت بصلاح البشر من ناحيتي الروح والجسد فكانت فيها حياته وسعادته ، وتقدمه ورقيه ، في عالميه الدنيا والآخرة . قال الله تعالى :

(استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) . وقال تعالى :

من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة

وقال عز من قائل :

قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ، وقال سبحانه :

ونُنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .

هذا وقد بعث النبي الامين صلى الله عليه وآله ، وهو ينادي : إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ، فعاش ﴿ ص ﴾ طيلة حياته الشريفة ، وهو يبذر تعاليمه الحكيمة ، ومكارم الاخلاق الاسلامية الفاضلة ، في نفوس الأمة ، وينير لها طريق الحياة السعيدة روحاً وجسماً ، حتى رفعه الله تعالى اليه ، فلم يهمل هذه الناس سدى ، بل خلف فيهم الثقلين ، كتاب الله ، وعترته ، فكان القرآن المجيد كتاب الله الصامت والعترة النبوية كتابه الناطق ، الذي يوضح للناس ما خفي عليهم من تعاليمه الاصلاحية ، ويرشدهم بتوضيحه إلى ما لم يدركه سواهم من الكنوز القرآنية الخفية .

أجل ولقد كانوا هم الادلاء على الخير والهدى والمرشدين إلى طرق السعادة والحياة الحقيقية ، كما كانوا هم الأطباء النفوس بكل ما تحتاج من العلاجات الروحية ، والمداواة النفسية .

لذلك ترى كل امام من اولئك العترة الطاهرة كان يعالج بعد النبي ﴿ ص ﴾ ادواء أهل عصره بنوع من العلاج الروحي يوافق عقولهم ويلائم مداركهم ، كطبيب يوسى مرضاه بكل عطف وحنان ورأفة حتى يوصلهم إلى ساحل الصحة والسعادة .

ولما كان عصر الامام ابى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عصراً مليئاً بالأهواء المتعاكسة ، والآراء المختلفة ، والاخلاق المتفاوتة ، والمذاهب المتشعبة ، عصراً تفسخت فيه الاخلاق الاسلامية ، وتسممت

النفوس ، وانحرفت صحة الأرواح ، كان الامام (ع) يرى نفسه ـ بطبيعة الحال وحسب وظيفته السماوية ـ هو الطبيب المسئول أمام الدين عن صحتها والمتكفل بتطبيبها ومداواتها .

وكيف لا يرى نفسه كذلك ، وهو كتاب الله الناطق ، الذي قال النبي ﷺ فيه وفي آبائه وفي القرآن : (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً)

نعم كان ابو عبدالله (ع) يرى نفسه هو المسئول عن علاج هذه الأمة ومداواة أمراضها الروحية ، التي انتابت نفوسها بطغيان الرذائل على الفضائل ، فكان (ع) يطبها بانواع من أقواله الحكيمة ، ومختلف ارشاداته القيمة ، وتعاليمه الشافية ، حسب مداركهم وشعورهم شأن الفيلسوف المداري والطبيب المداوي .

واليك نموذجاً من طبه الروحي ومعالجته النفسية التي اراد بها شفاءها من اسقامها الفتاكة بالفرد والمجتمع ، مكتفين بالقليل عن الكثير ، لعدم اتساع هذا الجزء عن اداء كل ما ورد عنه عليه السلام في هـذا الباب . فنقول :

١ — الغضب

الغضب حالة في النفس تثيرها أمور منتظرة أو غير منتظرة ، فتخرج العقل عن استقامته ، وتصد المغضوب عن رشده وصوابه ، وتفقده سلطانه على فكره وادراكه فيختل مزاج الذهن ، وتتهيأ الاعضاء فيها للفتك

والانتقام ، ذلك لان الدم يثور فيها فيسرع إلى القلب ، ثم ينتشر منه في العروق ، ويرتفع إلى أعالى الرأس ، فيحمر الوجه ، وتنتفخ الودجان ، ثم يجيش في الصدر فيعبس الوجه ، وتنكمش الشفتان عن الأسنان ، وهناك تتأهب الأعضاء بسبب هذا الثوران في الدم للفتك والانتقام ، وقد قيل فيه ولم ار في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

وأهم أسبابه الوراثة أو الأمراض أما الاسباب المهيئة له فكثيرة منهـــا المزاج العصبي والتسممات الحادثة عن المآكل الحادة والمشروبات الروحية ، كما ان للمحيط والبيئة والتربية الأثر البليغ فى احداث الغضب وشدة وطأته .

قال بعضهم : إن من الاسباب المهيجة للغضب الزهو والعجب والمزاج والهزء والمماراة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهي باجمعها اخلاق رديئة مذمومة ، ولا خلاص منه مع بقاء هذه الأسباب إلا بازالة هذه الأسباب الممرضة إلى اضدادها .

وإن للغضب من العواقب كثيراً من الامراض التي لا يستهان بها كالاصابة بالسل الرئوي ، وسوء الهضم ، والتهاب الأعصاب ، والنزيف الدموى بانواعه ، وقيل ان الغضوب قد يصاب بحالة شبيهة بداء الكلب ، بحيث إذا عض احداً مثلا أدى إلى موته ، مما يدل على ان في ريق الغضبان سماً زعافاً ، لا يؤثر على صاحبه فحسب ، بل يؤثر أيضاً على من يقع عليه .

فالغضب داء روحي ومرض نفساني خطير ، يضر بصاحبه أولا ،

وكثيراً ما يتعداه إلى الغير . ويوقع صاحبه في ارتكاب الجرائم من غير واعية أو ادراك .

وكم عالج الحكماء والفلاسفة والأطباء والعلماء هذا الداء بانواع العلاجات ، رجاء شفائه ، ولم يفلحوا . ولكن الدين الاسلامي الحكيم قد عالجه بأخف العلاجات وانجعها . وصده صداً بمختلف الواقيات . كما ورد في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وآله :

إذا وجد احدكم من ذلك (أي الغضب) شيئاً فان كان قائماً فليجلس أو جالساً فلينم فان لم يزل بذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفيها إلا الماء (١)

وقال الامام الصادق (ع) : الغضب مفتاح كل شر (٢)

قال (ع) : الغضب ممحقة لقلب الحكيم (٣)

وقال (ع) : من لم يملك غضبه لم يملك عقله (٤)

وقال (ع) : اذا لم تكن حليما فتحلم . وفي الآخر : كفى بالحلم ناصراً (٥) .

وقال (ع) : من ظهر غضبه ظهر كيده ، ومن قوى هواه ضعف حزمه (٦) .

---

(١) البحار وكشف الاخطار (٢) الكافى فى باب الغضب

(٣) الكافى (٤) الكافى (٥) الكافى (٦) البحار ج ١٧

٢ — الكذب :

الكذب انحراف النفس عن صحة الصدق ، والتواء الروح عن اداء واجبها الانساني ، وهو مرض فردي واجتماعي خطير ، فيحدث في صاحبه من اعراض الرذائل كالغش والنفاق والمداهنة والغدر والخيانة والرياء وخلف الوعد ونقض العهد وغيرها ، مما كان الصدق واقياً له منها ، وحافظاً النفس من الوقوع فيها . على ان الكذب هو نفسه قبيح لا يليق بالانسان معتدل المزاج ، أن يتصف به ، فيكون عضواً فاسداً مفسداً في مجتمعه ، يهلك نفسه ويعدي الآخرين فيمرضوا بمرضه .

وقد قال الامام الصادق (ع) فيه :

لاداء ادوى من الكذب (١)

من كثر كذبه ذهب بهاؤه (٢)

من صدق لسانه زكا عمله (٣)

ان الله خلق للشر اقفالا ومفاتيح تلك الاقفال الشراب والكذب شر من الشراب (٤) .

إياك وصحبة الكذاب ، فان الكذاب يريد أن ينفعك فيضرك ، ويقرب لك البعيد ، ويبعد لك القريب (٥) .

٣ — الحسد :

الحسد كراهة نعمة الغير وحب زوالها ، وان الحاسد لم يزل يتطلع

(١) الحلية ج ٧ ص ١٩٦ (٢) الوسائل (٣) الكافي (٤) جامع السعادات (٥) كتاب العشرة

الى نعم الله على عباده ، فلا يهنأ له حال ، وما الطف ما وصف الحساد ابو الحسن التهامي بقوله :

اني لارحم حاسدي لشرما ضمت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنـــة وقلوبهم في نار

وهو داء في النفس اشد من داء البخل ، لان البخيل يضن بماله على الغير ، اما الحسود فانه يضن بمال الله ونعمه على عباده ، ويتألم من وصوله الى غيره ، فهو العدو بلا سبب ، وطالب لزوال النعمة عن غيره وان لم تصله ، ولقد قال رسول الله(ص) : إن لنعم الله اعداءاً . قيل له ومن هم يا رسول الله ؟ قال (ص) : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله

وهذا الداء النفساني لم يحدث إلا عن خبث في الروح ، وانطواء النفس على الشر ، فاذا ما تمكن من امرء أفسد اخلاقه ، وساقه الى القبائح والجرائم ، واوقع صاحبه في اشد الآلام النفسية ، والاسقام البدنية ، كما قيل :

افسدت نفسك بالحسد وهدمت اركان الجسد

واذا حصل في امة اوقعها في الشقاق والنفاق ثم الدمار ، واذا استولى على احد ارجع عذابه على صاحبه ، لان الحسود دائم العذاب ، مستمر الالم . ولذا :

قال الامام الصادق (ع) : لا يطمع الحسود في راحة القلب (١) ،

---

(١) الخصال باب العشرة .

وقال (ع) : ليس لحسود غنى (١)

وقال (ع) : الحسود ذو نفس دائم ، وقلب هائم ، وحزن لازم ، وانه لكثير الحسرات متضاعف السيئات ، دائم الغم وان كان صحيح البدن (٢) .

وقال (ع) : ان الحسد يأكل الايمان ، كما تأكل النار الحطب (٣)

٤ — الكبر :

الكبر في الانسان حال تعرو النفس تدعو الى مجاوزة الحد في اعظامها واحتقار الغير ، وبعبارة اوضح ، هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير .

وهو داء عضال في النفوس الواطئة يحدث من ضيق دائرة نظر المتكبر الى نفسه ، عند ما يرى فيها فضيلة ليست عند غيره ، دون أن ينظر إلى نقائصها وكمالات الغير .

وان لهذا الداء من العوارض المرضية النفسية ، ما يوقع صاحبه في كثير من الرذائل المستقبحة ، كاغتراره بالظلم ، وعدم احتفائه بحقوق الغير ، والحقد ، والحسد ، وعدم الانقياد للحق ، وعدم قبول النصيحة واعراضه عن الارشاد ، وغير ذلك ، مما يلجىء تكبر المتكبر الى ارتكابها والابتعاد عن مكارم الاخلاق ، والى تعريفه أشار الامام «ع» بقوله ص :

---

(١) الحادى عشر (٢) كشف الاخطار (٣) الكافى فى باب الحسد .

ما من أحد يتيه الا من ذلة يجدها في نفسه (١)

وقال (ع): لا يطمع ذو كبر في الثناء الحسن (٢)

وقال (ع): لا جهل أضر من العجب (٣)

وقال «ع»: رأس الحزم التواضع (٤)

وقال «ع» ثلاثة مكسبة البغضاء ـ العجب والنفاق والظلم (٥)

٥ — خلف الوعد:

خلف الوعد حالة تتصف بها النفس الخسيسة، وتستسيغها الروح الواطئة، وهو داء نفساني اذا ما ابتلي به المرء حرم من ثقة الناس به، وجر الى نفسه في مجتمعه ومحيطه الويل وفقد في اصحابه واخوانه التعارف والمحبة، هذا ضرره في صاحبه، اما اذا ما فشا ـ خلف الوعد ـ في المجتمع كان داءاً اجتماعياً خطيراً، يقف سداً دون سعادة ذلك المجتمع، وانتظام معاملاته وحصول التعاون والثقة بين افراده.

ومن المعلوم ان مثل هذا الداء العضال لتعلقه بالنفوس الواطئة لم يجد لشفائه عقار الطبيب مجالا ولا ذكاء الفيلسوف سبيلا إذا لم يردعها وازع ديني او واعظ داخلي يقيم إود تلك النفس الخسيسة ويرفعها إلى مستوى الانسانية الفاضلة لذلك نرى الامام الصادق (ع) جاء لعلاج امثال تلك النفوس من هذا الطريق المستقيم فقال:

---

(١) الكافي باب الكبر (٢) الكافي باب العشرة (٣) تحف العقول (٤) البحار ج ١٧ (٥) تحف العقول.

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف بالوعد (١) وقال (ع) : ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وان صلى ، من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان (٢) إلى غير ذلك كثير .

٦ — الحرص

الحرص شدة الكدح والاسراف في الطلب ، وفوقه الشره ، وكلاهما داء ينتاب الروح والنفس ، بسبب غلبة القوة البهيمية على العقل ، وانحدار العقل امامها مغلوبا ، وما الحريص المصاب بهذا الداء إلا فقير ، كلما ازداد حرصه ازداد فقره ، لان الفقر هو الحاجة ، والحريص والشره ما زالا محتاجين ، لانهما لم يقنعا بكل ما اعطيا ، ولم تفتأ نفساهما تطلب الزيادة على ما في ايديهما . فهما فقيران على الدوام . وقد قيل : الغنى هو غنى النفس وقيل : القناعة كنز لا يفنى .

وعلى هذا قال الامام ابو عبد الله (ع) : اغنى غني من لم يكن الحرص أسيراً (٣)

وقال (ع) : من قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس (٤)

وقال (ع) : الحرص مفتاح التعب ومطية النصب وداع إلى التقحم في الذنوب ، والشره جامع للعيوب (٥) .

وقال (ع) : حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان : حرم القناعة فافتقد الراحة وحرم الرضا فافتقد اليقين (٦)

---

(١) كشف الاخطار (٢) تحف العقول (٣) الكافي باب حب الدنيا (٤) الكافي في القناعة (٥) الفصول المهمة (٦) خصال الصدوق باب الاثنين

٧ — المراء والجدل

المراء والجدل داءان مذمومان مهلكان وشهوتان باطنيتان يعتريان النفس ،مفادهما الاعتراض على الغير باظهار الخلل في قوله أو فعله من باب الطعن والاستحقار لذلك الغير ، طلباً للتفوق عليه ، بابراز الكياسة والمعرفة

وهما داءان خطيران ، أقل ما يحدث في النفس منهما ، هو حصول التباغض والعداء والنفرة بين المتحابين ، وذلك مما يؤدي إلى مالا تحمد عقباه .

ولقد عالجهما الامام الصادق (ع) بارشاداته القيمة ونصائحه الدينية إذ قال (ع) :المؤمن يدارى ولا يمارى (١)

وقال (ع) : الجهل في ثلاث : شدة المراء ، والكبر ، والجهل بالله (٢)

ومن حديث عنه (ع) : سبعة يفسدون اعمالهم ، سابعهم الذي لا يزال يجادل اخاه مخاصما له (٣)

إلى هنا ننهي البحث في هذا الموضوع الوسيع الذي لو اردنا ذكر كل ما ورد عن الامام عليه السلام فيه لضاقت به هذه الرسالة المختصرة التي اردنا الاختصار فيها والايجاز ، والتي لم يكن قصدنا بها إلا ان نقدم للقارىء الكريم اضمامة من تلك الرياض النضرة الزاهرة التي تزهو بتعاليم ذلك

---

(١) البحار ج ١٧ (٢) البحار ج ١ ص ٤٣ (٣) خصال الصدوق باب السبعة .

الامام العالم ، والمرشد الحكيم ، والمقتدى الناصح امامنا ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه وعلى آبائه الطاهرين افضل التحية والسلام مرجئين التفصيل إلى الكتب المفصلة ، ومن طلبها اهتدى والله ولي التوفيق .

والآن وبعد ان بينا لك شيئاً من طب الامام الصادق (ع) وهو بلا ريب غيض من فيض وقطرة من بحر علومه ومعارفه ارتأينا ان نذكر لك ترجمة أشهر الأطباء في ذلك العصر — أي عصر الامام (ع) — لما كان لهم من الاثر في انتشار الطب يومذاك — وبالطبع انا سنجمل تراجمهم سيراً على الطريق التي سلكناها في رسالتنا هذه .

الأطباء في عصر الامام (ع)

ليس القصد من تخصيص هذا العصر بالبحث والعناية لكونه عصر انقراض دولة وتأسيس اخرى فحسب ، ولا لأنه عصر مليء بالحوادث التاريخية والوقائع الحربية والتغييرات السياسية الزمنية ، بل لأنه عصر النهضة العلمية في الجزيرة العربية ، وربوع الرافدين ، وابتداء عهد الحضارة الاسلامية ، والمعارف والعلوم العربية ، من طب وفلسفة وأدب ، وغير ذلك من الفنون التي أخذت منها أرقى ماوصل اليه الأولون من الأمم المتمدنة ، ثم قدمته بعد التنقيح العلمي والعملي ، وبعد الصقل العقلي ، لقمة سائغة مريئة ، إلى الاجيال المتأخرة ، بقوالبها العربية الجذابة ، وبيانها الفصيح الخالي من شوائب النقص والتعسف ، المشتمل على تلك الآراء الجبارة ،

المطابقة للعقل والوجدان والدين والفطرة ،فقد صادفت بذرة العلوم يومذاك من مفكري العرب وفلاسفة الاسلام ، أطيب ارض صالحة اثمرت للاجيال المتعاقبة اشهى الثمر وامراه .

فهو ـ والحق يقال ـ كان كحلقة وصل بين الثقافتين القديمة والحديثة ، وواسطة العقد بين العقلية البشرية لدى الأمم السالفة وهذا العصر الحديث .

إذاً فلا غرو إذا ما خصص هذا العصر بالبحث ، واعطي من الأهمية والعناية ما هو جدير بهما ، لا سيما وقد بذر الامام ابو عبدالله عليه السلام في نفوس اصحابه وتلاميذه ، والوافدين عليه من العلماء والحكماء والمفكرين ، تلك البذرة الطيبة ، التي أثمرت فيما بعد من الآراء السامية والحكم القيمة ، ما لم يدرك مغزاها ، ولم يصل إلى معرفتها إلا جهابذة هذا العصر الحديث ، بعد تقدم الطب ، واستمرار التجارب والبحث العلميين العمليين طيلة قرون وقرون .وإليك تراجم هؤلاء الأطباء الذين يرجع اليهم كثير من أسباب نشر الطب ترجمة ونقلا وتدريساً .

١ — جرجيس بن جبرئيل (١) :

هو جورجيس بن جبرئيل الجنديسابوري (٢) ، كان في صدر الدولة العباسية وكانت له خبرة كاملة واطلاع تام بصناعة الطب ، واطلاع

(١) عيون الانباء والقفطي (٢) وفي تاريخ الحكماء جورجيس بن بختيشوع .

وافر على المداواة وأنواع العلاج . وكان فاضلا ، رئيساً لمدرسة جنديسابور

استدعاه المنصور العباسي لمداواته من علته التي عجز اطباء بغداد عن علاجها ـ وهي فساد معدته كما تقدم ـ . ولما ورد بغداد ومثل بين يديه ، اعجب به ، لحلاوة منطقه ، ورزانة عقله . ولما ذكر له العلة طمنه ، ثم عالجه حتى برىء بسرعة .

بقي جرجيس عند الخليفة مدة ، ثم أراد الرجوع إلى بلده فلم يأذن له الخليفة ، وطلب اليه البقاء في بغداد ، بعد أن أغدق عليه الأموال والعطايا ، فاضطر للبقاء في بغداد يعالج المرضى ، وفي هذه المدة التي كان في العاصمة ، أخذ ينقل للمنصور كتباً كثيرة في الطب الى اللغة العربية ، فعظم مقامه عند الخليفة وعند الناس .

ثم مرض سنة ١٥٢ هـ وطلب من الخليفة الرجوع الى اهله ، ليرى عياله واطفاله ، وليدفن في وطنه إذا مات ، فاذن له بعد أن خلف تلميذه ـ عيسى بن شهلافا ـ مكانه . فارسل المنصور معه خادماً خاصاً ، وأمره ان جرجيس إذا مات في الطريق حمله الى اهله ليدفن عندهم كما أراد ، لكنه وصل الى بلاده حياً وبقي تلميذه بخدمة الخليفة كطبيب خاص للبلاط

٢ — عيسى بن شهلافا (١)

عيسى بن شهلافا الجنديسابوري تلميذ جورجيس جاء مع استاذه الى بغداد لعلاج المنصور ، ثم بقي بعده طبيباً للخليفة باشارة من استاذه كما

(١) القفطي ص ١٦٥ .

مر ، ولكن هذا بدأ يبسط يده بالاذية ، خاصة على الأساقفة والبطارقة ، ويطالبهم بالرشى وأخذ الأموال ـ وكانت فيه شرارة وطمع .

ولما خرج المنصور في بعض سفراته ، ووصل الى قريب نصيبين ، كتب عيسى هذا الى مطران نصيبين يهدده ويتوعده إن منع عنه ما التمسه منه ، وكان قد التمس أن ينفذ له من آلات البيعة اشياء جليلة ثمينة ، وكتب في كتابه ، أليس تعلم أن امر الملك بيدي ، إن اردت أمرضته ، وان اردت شفيته ، فلما وقف المطران على الكتاب ، احتال في التوصل الى الربيع ، وزير المنصور ، وشرح له الحال ، واقرأه الكتاب ، فاوصله الربيع الى الخليفة واوقفه على حقيقة الأمر ، فأمر المنصور بأخذ جميع ما يملك عيسى وتأديبه ، ثم نفيه أقبح نفي . وهذا هو ثمرة الشر وعاقبة صاحبه .

٣ — ابن البطريق (١) :

وسماه بعضهم البطريق تخفيفاً . هذا الطبيب كان في ايام المنصور ، وقد امره المنصور بنقل اشياء كثيرة من الكتب القديمة فنقلها له ، وكان نقله جيداً ، إلا ان نقله كان دون نقل الطبيب حنين الذي جاء بعده والذي كان نقله بعد هذا هو المعول عليه لدى الاطباء والحكماء وستجد ترجمته في كتابنا ـ معجم ادباء الاطباء ـ وغيره من كتب التراجم

٤ — فرات بن سكنا (٢) :

طبيب يهودي فاضل كامل في وقته متقدم العهد من تلاميذ الطبيب

---

(١) القفطي ١٦٩ (٢) عيون الانباء ١٦٢ .

الشهير (تياذوق) طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد كان استاذه يرفعه على سائر تلاميذه . خدم في حداثته الحجاج ايضاً . ولما كبر وشاخ صحب الامير ـ عيسى بن موسى ـ العباسي . الولي العهد أيام المنصور . وكان عيسى هذا يشاوره في كل الامور . ويعجبه عقله وصواب رأيه فيما كان ينذره به أيام خلافة المنصور . فكان عيسى يتذكره بعد وفاته كل ما وقع له شيء من الامور التي كان ينذره بوقوعها . ويقول : سقى عهدك أيا فرات . كأنك كنت شاهداً يومنا هذا .

٥ ـ موسى بن اسرائيل الكوفي (١) :

هذا الرجل طبيب من أهل الكوفة ولد سنة ١٢٩ وتوفي سنة ٢٢٢هـ خدم في اواخر ايامه أبا اسحق ابراهيم بن المهدي . واختص بخدمته وتقدم عنده . وله ذكر مشهور بين الاطباء . وكان قليل العلم بالطب اذا قيس بمن كان في وقته من مشاهير مشايخ المتطببين ، إلا انه كان املأ لمجلسه منهم ، لخصال اجتمعت فيه ، كفصاحة اللهجة ، مع علم بالنجوم ومعرفة بايام الناس ، ورواية للاشعار .

وكان ابو اسحق ابراهيم يحتمله لهذه الخلال ، ولانه طيب العشرة جداً يدخل في كل ما يدخل فيه منادموا الملوك .

وكان ابن اسرائيل هذا في حداثته بخدمة الامير عيسى بن موسى العباسي وكان قد خدم معه المتطبب اليهودي فرات بن شحناثا ، وهو يروي

---

(١) القفطي ٢٠٨ .

عنه أي عن (فرات) حكايات كثيرة من مشاورات عيسى له ، وارشاداته إياه بالآراء الصائبة .

قال الطيب موسى (١) : لما عقد المنصور لعيسى بن موسى على محاربة (محمد بن عبدالله بن الحسن العلوي) وسار باللواء من داره ، قال لفرات : ما تقول في هذا اللواء ؟ قال المتطبب : أقول إنه لواء الشحناء بينك وبين أهلك إلى يوم القيامة ، إلا أني ارى لك نقل أهلك من الكوفة إلى أي البلدان أحببت ، فان الكوفة بلد أهلها شيعة من تحارب ، فان قلت لم يكن لمن تخلف بها من أهلك بقية ، وان قلت واصبت من تتوجه اليه ، زاد ذلك في اضغانهم عليك ، فان سلمت منهم في حياتك ، لم يسلم منهم عقبك بعد وفاتك ، فقال عيسى : ويحك إن أمير المؤمنين غير مفارق الكوفة فلم انقل أهلي منها ، وهم بعد في داره ؟ فقال إن الفيصل في مخرجك فان كانت الحرب لك فالخليفة مقيم بالكوفة وان كانت عليك لم تكن الكوفة له بدار وسيهرب منها ويخلف حرمه فضلا عن حرمك .

قال موسى الطيب : فحاول عيسى نقل عياله من الكوفة فلم يسوغ المنصور له ذلك ولما فتح الله على عيسى ورجع إلى الكوفة وقتل ابراهيم بن عبدالله انتقل المنصور إلى مدينة دار السلام فقال له متطببه : بادر بالانتقال معه إلى مدينته التي قد احدثها فاستأذن المنصور بذلك فاعلمه انه لا سبيل اليه وانه قد دبر استخلافه على الكوفة فاخبر عيسى فراتا متطببه بذلك فقال له

(١) كما في عيون الانباء ج ٢ ص ١٤٨ .

فرات : إن استخلافه اياك على الكوفة حل لعقدك على العهد لانه لو دبر تمام الأمر لك لولاك خراسان بلد شيعتك فاما ان يجعلك في الكوفة بلد اعدائك واعدائه وقد قتلت محمد بن عبدالله فوالله مادبر فيك إلا قتلك وقتل عقبك ، ومن المحال ان يوليك خراسان بعد الذى ظهر منه فيك فسله توليتك الجزيرتين أو الشام فاخرج إلى اي الولايتين ولاك فاوطنها ، فقال له عيسى : أتكره لي ولاية الكوفة وأهلها من شيعة بني هاشم وترغب لي بولاية الجزيرتين أو الشام وأهلها من شيعة بني امية ، فقال له المنطب : أهل الكوفة وان وسموا انفسهم بالتشيع لبني هاشم فلست وأهلك من بني هاشم الذين يتشيعون لهم ، وانما تشيعهم لبني ابى طالب ، وقد اصبت من دمائهم ما قد اكسب اهلها بغضتك واحل لهم عند انفسهم الافتياد منك ، وتشيع أهل الشام والجزيرتين ليس على طريق الديانة ، وانما ذلك على طريق احسان بنى امية لهم ، وان انت اظهرت لهم مودة متى وليتهم ، واحسنت اليهم كانوا لك شيعة ، ويدلك على ذلك محاربتهم مع عبدالله بن علي على ما قد نال من دمائهم ، لما تألفهم وضمن لهم الاحسان اليهم ، فهم اليك لسلامتك من دمائهم اقبل .

قال موسى الطبيب : واستعفى عيسى من ولاية العهد ، وسأل تعويضه عنها ، فاعلمه المنصور ان الكوفة دار الخلافة ، لا يمكن ان تخلو من خليفة او ولي العهد ، ووعده ان يقيم فى مدينة السلام سنة ، وفي الكوفة سنة وانه إذا صار إلى الكوفة ، صار عيسى إلى مدينة السلام وأقام بها .

قال : ولما طلب أهل خراسان عقد البيعة للمهدي ، قال عيسى لمتطببه : يا فرات قد دعيت إلى تقديم محمد بن أمير المؤمنين على نفسي . فقال له : فتوقع ما ارى ، ان تسمع وتطيع اليوم و بعد اليوم ، قال عيسى : وما بعد اليوم ؟ قال : إذا دعاك محمد إلى خلع نفسك ، وتسليم الخلافة إلى بعض ولده ، ان تسارع ، فليس عندك منعة ، ولا يمكنك مخالفة القوم في شيء يريدونه منك .

قال موسى : فمات المتطبب فرات في خلافة المنصور ، ولما دعى المهدي عيسى إلى خلع نفسه من ولاية العهد ، وتسليم الأمر إلى الهادي ، قال : قاتلك الله يافرات ، ما كان أجود رأيك ،واعلمك بما تقومه كأنك كنت شاهد يومنا هذا .

قال موسى : ولما رأيت ما فعل ابو السرايا بمنازل العباسيين في الكوفة ، قلت مثلما قال عيسى في فرات :

٦ — مصيب المتطبب (١) :

كان خصيب هذا طبيباً نصرانيا من أهل البصرة ، وكان مقامه بها ذكره بن ابي اصيبعة في عداد الأطباء الذين كانوا في ابتداء ظهور بني العباس وكان فاضلا في صناعة الطب ، جيد المعالجة .

حدث محمد بن سلام الجمحي قال : مرض الحكم بن محمد بن قنبر المازني الشاعر بالبصرة ، فاتوه بخصيب ليعالجه فقال فيه :

---

(١) عيون الانباء والقفطي .

ولقد قلت لاهلي إذ أتوني بخصيب
ليس والله خصيب الذي بي بطبيب
انما يعرف دائي من به مثل الذي بي

حدث ايضا محمد بن سلام فقال: كان خصيب الطبيب هذا نصرانيا نبيلا، فسقى محمد بن ابي العباس السفاح شربة دواء وهو على البصرة ، فمرض منها ، وحمل الى بغداد ، فمات بها ، فاتهم خصيب وحبس حتى مات في الحبس.

٧ — ابن اللجاج (١)

قال القفطي : طبيب مذكور كان في زمن المنصور من بني العباس ولما حج المنصور حجته التي مات بها كان الاجاج المتطبب هذا في صحبته ،

وقال ابن ابي اصيبعه : قال يوسف بن ابراهيم ، حدثني اسماعيل ابن ابي سهل بن نوبخت ، ان أباه أبا سهل حدثه : ان المنصور لما حج حجته التي توفي فيها ، رافق ابن اللجاج متطبب المنصور ، فكان متى نام المنصور تنادما ، وذات يوم سأل ابن اللجاج ، وقد عمل فيه النبيذ ، اباسهل عما بقي من عمر المنصور (حسب النجوم طبعاً) . فقال اسماعيل : فعظم ذلك السؤال على والدي ، وقطع النبيذ وجعل على نفسه ان لا يندمه ، وهجره ثلاثة ايام ، ثم اصطلحا بعد ذلك فلما جلسا على نبيذهما ، قال ابن اللجاج لابي سهل : سألتك عن علمك ببعض الامور ، فبخلت به وهجرتني ، ولست ابخل عليك بعلمي ، فاسمعه ، ثم قال : ان المنصور رجل مغرور ، تزداد

(١) عيون الانباء ج ٢ والقفطي

يبوسته في بدنه كل ما أسن وقد حلق رأسه بالحيرة ، وجعل مكان الشعر الذي حلقه غالية ، وهو في هذا الحجاز يداوم الغالية ، وما يقبل قولي في تركها ، ولا أحسب انه يبلغ (فيد) حتى يحدث في دماغه من اليبس ما لا يكون عندي ولا عند أحد من المتطببين غيري حيلة في ترطيبه ، فليس يبلغ (فيد) (إن بلغها) إلا مريضاً ، ولا يبلغ مكة (إن بلغها) وبه حياة .

قال اسماعيل قال لي والدي : فو الله ما بلغ المنصور (فيد) إلا وهو عليل ، وما وافى مكة الا وهو ميت ، فدفن ببئر ميمون ؟

انتهى

فهرست مواضيع الكتاب

	الصفحة
الاهداء	٢
المقدمة	٣
تاريخ الطب ومبدأ ظهوره	٥
الطب عند العرب	٦
طب الإمام عليه السلام	١٣
مناظرة الإمام (ع) مع الطبيب الهندى	٢٤
سؤال النصرانى منه عن تعداد عظام الإنسان	٢٩
الدورة الدموية	٣٠
كيفية السماع والإبصار	٣٢
العدوى والجراثيم	٣٤
الجراثيم ومجمل تاريخها	٣٧
حديث الأهليلجة	٤٣
وصفاته الطبية	٥١
الصداع	٥١
الزكام	٥٢
ضعف البصر	٥٢
بياض العين	٥٢
وجع البطن وإسهالها	٥٣
الإسهال	٥٣
قراقر البطن مع الألم	٥٣
الرياح الموجعة	٥٣
ضعف البدن	٥٤
حمى الربع	٥٤
المبطون مع الألم	٥٤
الوضح والبهق	٥٥
البلغم الكثير	٥٥
شدة البول	٥٥
قلة الولد	٥٥
ضعف الباه	٥٥
أقواله (ع) فى خواص بعض النباتات	٥٩
الثوم	٦١
البصل	٦٣
الفجل	٦٤
الجزر	٦٥
الباذنجان	٦٥
القرع (الدبا)	٦٦

openkandil.com

	الصفحة
أقواله (ع) فى بعض الفواكه والخضر	٦٦
العنب	٦٧
التفاح	٦٨
الرمان	٦٩
السفرجل	٧٠
التين	٧١
التمر	٧١
الخس	٧٢
الهندباء	٧٣
من كلماته الخالدة فى الطب	٧٥
الصادق (ع) والطب	٨
الغضب	٨
	٨

	الصفحة
الحسد	٨٦
الكبر	٨٨
خلف الوعد	٨٩
الحرص	٩٠
المراء والجدال	٩١
الاطباء فى عصر الامام (ع)	٩٢
جرجيس بن جبرئيل	٩٣
عيسى بن شهلافا	٩٤
ابن البطريق	٩٥
فرات بن شحناثا	٩٥
موسى بن اسرائيل الكوفى	٩٦
خصيب المنطبب	٩٩
ابن اللجاج	١٠٠

openkandil.com